حقيقة معتقد ابن سينا

(٣٧٠ - ٤٢٨هـ)

وموقفه من أنواع التوحيد الثلاثة

وبذيله قاموس موجز لمعاني أشهر المصطلحات
الكلامية التي يرددها ابن سينا في مصنفاته

تأليف
أبي عبد الملك أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي

١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العتيبي ، أحمد مسفر
حقيقة معتقد ابن سيناء . - الرياض.
١٠٤ ص، ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٦-٠٨-٧١٥-٩٩٦٠
١- العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن ٢- ابن سيناء ، الحسين بن عبدالله ، ت ٤٢٨هـ أ-العنوان
ديوي ٢٤٠ ٢١/٤٣٦٣

رقم الايداع : ٢١/٤٣٦٣
ردمك : ٦-٠٨-٧١٥-٩٩٦٠



﴿ كلمة حـــــق ﴾

* ــ " وخطر لي الاشتغال بعلم الطب ، فاشتريت كتاب (القانون) ((لابن سـينا)) فعزمت على الاشتغال فيه ، ففكّرت في أمري ، فأظلم عليّ قلبي، وبقيت أيامــاً لا أقدر على الاشتغال بشيء ، ففكّرت في أمري ، ومن أين دخـل علـيّ الداخـل ، فألهمني الله تعالى أن سببه اشتغالي بالطب ، فبعت في الحال الكتـاب المذكـور ، وأخرجت من بيتي كل ما يتعلّق بعلم الطب ، فاستنار قلبي ورجع إلــيّ حـالي ، وعدت إلى ما كنت عليه أولاً " [1]

النووي (ت :٦٧٦هـ)

(تحفة الطالبين ص ٥٢) .

****

* " .... وقد أتفق العلماء على أنّ ابن سينا كان يقول بقدم العــالم ، ونفـي المعاد الجسماني ، ولا ينكر المعاد النفساني ، ونقل عنه أنه قـال : إنّ الله لا يعلـم الجزئيات بعلم جزئي ، بل بعلم كليّ ، فقطع علماء زمانه ومن بعدهم من الأئمة ممن يعتبر قولهم أصولا وفروعا بكفره وبكفر أبي نصر الفارابي من أجل اعتقـاد هـذه المسائل ، وأنها خلاف اعتقاد المسلمين " .

ابن حجر (ت : ٨٥٢هـ)

(لسان الميزان ٣٥٩/٢ نقلاً عن ابن أبي الحموي)

---

[1] لا يفهم من كلام النووي ــ قطعاً ــ أن تعلم الطب مذموم ، إنما المذموم خلط الطب بالمصطلحات الفلسفية والكلامية التي ربما أفسدت المعتقد وشابت الإيمان الصادق ، أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢ / ٨٤ــ٨٧ وتلبيس إبليس ٩٠ ، وإغاثة اللهفان ٢٥٠ .

بســــــم الله الرحمـــــن الرحيـــــم

﴿ المقـــــــــدمـــــة ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل ، فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (آل عمران:١٠٢)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (النساء ١:)

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٧٠ ــ ٧١) .

أما بعد :

فإن الدين الإسلامي ما فتئ ــ منذ نشأته الأولى ــ يواجه أخطاراً جســيمة ، ومصــائب عظيمة ، وأقلاماً مسمومة ترقم الباطل في هيئة الحق ولونه وجنســـه ، تكــابد المشــاق وتنازع الأهوال وتتسنّم ذُرى الغواية لتنفث سموم الحقد والزيف في صفحــات الإســلام الناصعة .

وقد حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته مما يخدش عقيدة الإسلام ، ويحجــب نــور الوحي وهدي السنة النبوية ، ويكون سبباً في ضياع طاقاتها وثرواتها .

فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ أخوف ما أخاف على أمتي ، كل منــافق عليم اللسان " [1] .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يكون في آخر الزمــان دجّــالون كذّابــون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيّاكم وإيّــاهم ، لا يضلونكــم ولا يفتنونكم " [2] .

(١) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث عمر ــ رضي الله عنه ــ

(٢) أخرجه مسلم ٢/١٢٠ وأحمد ٤/ ٢٣٠ .

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد تعهّد بحفظ دينه ونصره بقوله : ﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾ (المجادلة : ٢١)

وبقوله : ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر: ٩) فليس معنى هذا أن يظل المسلم فاغراً فاه أمام التحديات العقدية والشرعية ، ولا يحرّك ساكناً في دفعها ودحرها أو حتى معرفتها وكيفية القضاء عليها . والقاعدة الأصولية تقول : (درء المفاسد أولى من جلب المنافع) [1] .

****

إن " الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا : (٣٧٠ ــ ٤٢٨هـ) علــم من أعلام يزعم أنّهم ينتمون إلى الإسلام نسباً وعقيدة ، فهو قد ولد فــي بيئــة إسلامية ، ومن سلالة لا أحسبها مسلمة مؤمنة ــ وابرأ إلى الله من كل نســمة كافرة زاوجتها بدين الله الحنيف ــ وتلقّف علومه ومعارفه وفوائده من أشــياخ الإلحاد ورؤوس الزنادقة المكذبين بالله ودينه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

" وابن سينا تكلّم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع ، لم يتكلّم فيــها سلفه ، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم ، فإنه استفادها من المســلمين ، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية . وكــان هــو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد ، وأحسن مــا يظــهرون ديــن الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض " [2] .

يقول ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ في "النونية " الدامغة لرؤوس الكفر :

وأتــى ابــن ســينا بعــــد ذا بطريقــــة	أخــرى ولــم يــأنف مــن الكفــران
قــال المــراد حقــائق الألفــاظ تخييـــلاً	وتقريبـــــاً إلـــــى الأذهــــــان
عجــزت عــــن الإدراك للمعقـــول إلا	فــي مثــــال الحــس كالصبيــان
كي يبرز المعقول في صور من المحسوس	مقبـــولاً لـــــدى الأذهـــــان [3]

[1] انظر : شرح القواعد الفقهية (ص ٢٠٥).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣٣/٩ ــ ١٤٣ .

[3] القصيدة النونية ٣٠١/١ .

ومعنى الأبيات أن ابن سينا ابتدع طريقة في التأويل فقال إن المراد بالألفاظ حقائقها ، لكن على سبيل التخييل تقريبا إلى الأذهان ، فإن عقول العامة تعجز عـــن إدراك هذه المعاني العقلية لشدة اتصالها بالمحسوسات ، فإذا أبرزت لها هذه المعقولات في صورة الأمور المحسوسة كانت مقبولة لديها . وقال إن تسلط التـــأويل علـــى هـــذه النصوص يبطل ما قصد إليه الشارع من جعلها مثالا للحقائق تقريبها من الأذهـــان ، فهو جناية يا لمرتكبها من جان [1] .

والقصد من هذا كله أن نصوص الصفات في الكتب السماوية والأحاديث النبوية لـــم يقصد بها بزعمه الاعتقاد بما جاءت به ، وأن الرسل لم يخبروا عن الله بما يطـــابق الواقع ، بل هذه النصوص إنما جاءت لاقناع الجمهور العوام لاستدراجهم لمصلحـــة دعوتهم إلى الحق ـــ وهو التنزيه ـــ استدراجا ورويدا ، ولـــو جـــاءت النصـــوص صريحة دفعة واحدة في بيان حقيقة التوحيد والتنزيه ـــ من أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت ـــ لبادروا إلى العناد وسارعوا إلى الإنكار .[2]

واستمع إليه وهو يمهد لنفي صفات الله تعالى ، قال :

" أما الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد ، وهو : أن الشرع والملل الآتية علـــى لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة ، ثم من المعلوم الواضـــح أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد ، من الإقرار بالصانع موحـــدا مقدسا عن " الكم : و " الكيف " و " الاين " و " المتى " و " الوضع " و " التغيـــير " حتى يصير الاعتقاد به أنه ذات واحدة لا يمكن أن يكون لها شريك في النـــوع ، أو يكون لها جزء وجودي ، كمي أو معنوي[3] ولا يمكن أن تكون خارجة عن العالم ، أو داخلة فيه . ولا بحيث تصح الإشارة إليه أنه هناك ، ممتنع إلقاؤه إلى الجمـــهور ...... الخ " [4] .

---

[1] شرح النونية ١ / ٢٠١

[2] الماتريدية ٢ /٧٠

[3] يومي ابن سينا إلى نفي الصفات الثبوتية ، لأنه يلزم منها التركيب عنده ، وباقي توحيد المعطلة وتنزيههم ـــ الذي هو عين التعطيل والتشبيه ـــ فيكون الله تعالى معدوماً محضاً بل ممتنعاً بحتاً ! .

[4] الرسالة الأضحوية لابن سينا (ص ٤٤ وما بعدها) .

قلت : لقد سلخ ابن سينا شبابه في التجنّي على الإســـلام وأحكامـــه وعقـــائده ، وضارع أئمة الغواية الذين نهل من موردهم كالفـــارابي وأرســـطو وأفلاطـــون وسقراط وفيثاغورس وغيرهم من الأوباش الذين شوّهوا هامة الملّـــة وعكّـــروا صفاء العقيدة ، وإلى الله المشتكى .

ولما أحكم ابن سينا طريقته في السير على منهاج سلفه ، تفرّغ لبثّ ســـمومه عـــبر ثلاث وسائل :

الأولى : صحائفه التي خطّها بيمينه أو شماله فـــي " نجاتـــه " و " اشـــاراته " و " وتنبيهاته " و " قانونه " وغيرها من رسائله ومسوّداته .

الثانية : ولايته التي سخّرها ـــ عندما كان وزيراً ـــ لاستجلاب البسطاء وضعـــاف العقيدة ، وأهل الأهواء الذين يهرعون وراء كل ناعق[1] .

الثالثة : تلاميذه ومريدوه الذين أرضعهم من لبانه ، وأطعمهم من فاكهته لينشـــروا بعده عقيدته وفكره وكفره .

وصدق الله إذ يقول :﴿ ويسعون في الأرض فســـاداً والله لا يحـــب المفســـدين ﴾ (المائدة :٦٤) .

وقال سبحانه : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بمـــا كانوا يفسدون ﴾ (النحل : ٨٨) .

لقد استطاع ابن سينا خلال نصف قرن أمضاها من عمره أن يؤثّر تـــأثيراً عظيمـــاً في بيئته ومحيطه ، وأن ينقل فكره وآرآءه لمن بعده من أجيال وقرون تتلقّف كـــل غريب وشاذّ لتتلهّى به في عقيدتها ودينها مهما كلّفها ذلك من ثمن . فلقّب صاحبنـــا بـــ (الشيخ) و (الرئيس)[2] و(فيلسوف الإسلام)[3] .

وهذه الأخيرة عبارة دخيلة على ثقافتنا وديننا ـــ فليس بيننا فلاسفة يسفسطون الحقائق ويحلّقون بأفراد الأمة في سراب يحسبه الضمآن ماء . ولكن علماء ربانيين كان منهم

---

(١) سيأتي زيادة توضيح لهاتين الوسيلتين في ثنايا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) الشيخ معناه (الأستاذ) والرئيس : لقب لزمه لتوليه الوزارة . أنظر مجلة كلية العلوم الاجتماعية (ع"٥" سنة " ١٤٠١هـ ص ٦٦ .

(٣) وظهر أخيراً في بعض كتابات المتفلسفة مصطلح (السينوية) وهو الاعتقاد أن لابن سينا فلسفة خاصة به ، أو مذهباً فلسفياً متميزاً عن الفلسفة السائدة في عصره . وهذه الفلسفة تقابل فلسفة المشائين . انظر : دراسات مغربية لمحمد الخاري (ص ٨٣) .

شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) ــ رحمه الله تعالى ــ الذي قال عن ابن سينا وأمثاله : " هل وجد في العالم أمة أجهل وأضلّ وأبعد عن العقل والعلم من أمة يكون رؤوسها فلاسفة ؟ أو لم تكن أئمتكم اليونان ــ كأرسطو وأمثاله ــ مشركين يعبدون الأوثان ، ويشركون بالرحمن ، ويقربون أنواع القرابين لذرية الشيطان .. ثم يقال له (أي ابن سينا) : أنت وأمثالك أئمة اتباعكم ، وهذا قولك وقول أرسطو وأمثالكم من أئمة الفلاسفة في : " واجب الوجود " وصفاته وأفعاله ــ مع دعواكم نهاية التوحيد والتحقيق والعرفان ــ **قول لا يقوله إلا من هو أجهل الناس وأضلّهم وأشبههم بالبهائم من الحيوان ...** "[١] .

ومنهم ابن القيم (٧٥١هـ) ــ رحمه الله تعالى ــ الذي لخّص عقيدة ابن سينا قائلاً : " **... فالرجل معطّل ، مشرك ، جاحد للنبوات والمعاد ، لا مبدأ عنده ، ولا معاد ، ولا رسول ولا كتاب** "[٢] .

ومن العلماء الربانيين ابن كثير (٧٧٤هـ) ــ رحمه الله تعالى ــ القائل في ابن سينا : " **قد حصر الغزالي كلامه في " مقاصد الفلاسفة " ثم ردّ عليه في " تهافت الفلاسفة" في عشرين مجلسا له ، وكفّره في ثلاث منها ، وهي : قوله بقدم العالم ، وعدم المعاد الجثماني ، وأن الله لا يعلم الجزئيات ، وبدّعه في البواقي** "[٣]

والذهبي (٧٤٨هـ) ــ رحمه الله تعالى ــ القائل : ((ما أعلمه روى شيئاً من العلم ، ولو روى لما حلّت الرواية عنه ، لأنه فلسفي النّحلة ضال))[٤] . وغير أولئك من زمرة العلماء العاملين المنافحين عن دين الله تعالى وشرعه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . الذين لا يرضون أن يقدح في شرع الله وفي أنبياء الله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ بحرف واحد ! فرضي الله عنهم ورحم مثواهم ونوّر تلك الرموس التي تضمّ عظامهم ، وحشرنا معهم مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

---

(١) درء التعارض ٥ /٦٤ ــ ٦٥ و٦/٧٧ وفيه فوائد يحسن الوقوف عليها .

(٢) اغاثة اللهفان (ص ٦٦٠) .

(٣) البداية ١٢ / ٤٦ .

(٤) ميزان الإعتدال ١ / ٥٣٩ .

ومع موجة التغريب التي ذاعت في كل صقع من أصقاع المعمورة ، شدا كثير من ضعاف الإيمان بعلم ابن سينا وأضفوا عليه هالة من الإعجاب والتقديس ، وعدّوه من علماء الملّة وفلاسفة الإسلام !

هكذا زعموا !!

كأنهم من بعد أفهامهم ... لم يخرجوا بعد إلى العالم

يضحك إبليس سرورا بهم ... لأنهم عار على آدم !![١]

*****

وهذا الكتاب الذي اقدمه للقارئ المسلم ما هو إلا جهد متواضع ، حرصت من ورائه أن يسهم إلى حدّ ما في ملء فراغ في المكتبة الإسلامية ، التي تكاد تخلو من كتاب يعرض بإنصاف عقيدة ابن سينا بعيداً عن الثرثرات الثقافية والأقلام المستأجرة التي تخدم الاستشراق وأذنابه .

وقد تعمّدت أن اقدم في هذا الكتاب الجوهر واللّباب ، مبتعداً عن الإسهاب المملّ والإيجاز المخلّ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

وأمل من كل من وقف على هذه الصفحات أن لا أعدم منه دعوة صالحة تنفعني في دنياي وأخراي ..

اللهم وفقني لخدمة دينك والعمل بكتابك وسنة رسولك صلى الله عليه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

" **المؤلف** "

---

(١) معجم الأبيات الشهيرة (ص ٢١٥) ، ومعجم ذمّ الشعر (ص ٣٦٨) .

المبحث الأول

﴿ الحالة الدينية والسياسية في عصره ﴾

أ ــ الحالة الدينية :

عاش ابن سينا في الفترة الواقعة بين (٣٧٠ ــ ٤٢٨هـ) وهي ثمانية وخمسون عاماً ، شهد خلالها كثيراً من الأفكار العقديّة ، والتصورات الدينية المختلفة ، وعاصر ابن سينا في هذه الفترة كثيراً من الفرق والطوائف والجماعات والملل والنحل التي تحتضن العديد من المعتقدات والتي يدافع أصحابها عنها بكل ما أوتوا من قوة وبأس .

ويمكن إيضاح ذلك في النقاط الآتية :

أولا : الإسماعيليون [١] :

فرقة من غلاة الشيعة ، ومن الحركات الباطنية الخطيرة ، سُميّت بهذا الأسم لأنها وقفت سلسلة الإمامة عند " إسماعيل بن جعفر الصادق " (١٤٣هـ [٢]). نشأ هذا المذهب في العراق واضطهد كما أضطهد غيره من المذاهب الشيعية ، لذلك فرّ المنتمون إليه إلى بلاد فارس وخراسان والهند وتركستان .

وللإسماعيلية علاقة قوية بالمذاهب والديانات القديمة كاليهودية والنصرانية ، ومذاهب الفرس والمجوس والفلسفات اليونانية[٣] .

*** عقيدتهم في الألوهية :**

١ ــ نفي الأسماء والصفات .

٢ ــ تعطيل الله عن كل وصف وتجريده من كل حقيقة .

٣ ــ زعموا أن الله لم يخلق الخلق ، وأن الذي يرزقهم ويدبّر شؤونهم هو (العقل الأوّل)

(١) للاستزادة من معرفة عقائد الإسماعيلية ، أنظر : الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير . والإسماعيلية المعاصرة لمحمد الخولي .

(٢) اختلف المؤرخون في وفاته ، هل هي قبل أبيه أم بعده .

(٣) لمعرفة علاقة الإسماعيلية بالمذاهب والديانات القديمة ، أنظر : تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ ص١٤٣. ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ١١/٢ــ١٢ . ونشأة الفكر الفلسفي للنشار ١٠٣/١ .

*** عقيدتهم في النبوة :**

١ ــ النبوة مكتسبة ليست هبة من الله سبحانه وتعالى ــ لأحد من خلقه . فالإنسان ــ عندهم ــ يستطيع أن يصبح نبياً بعد الارتياض والمجاهدة .

٢ ــ النبي شخص فاضت عليه من السابق بواسطة : التالي قوة قدسية صافيه [١] .

٣ ــ العقل ــ عندهم ــ هو منزل الوحي إلى الأنبياء ، وعليه فهم يزعمون أن الوحي ما قبلته نفس الرسول من العقل ، وقبله العقل من أمر باريه .

*** عقيدتهم في الإمامة :**

١ ــ الإمامة استمرار وتكملة للنبوة .

٢ ــ الأئمة معصومون ، ويصلون إلى مرتبة الألوهية .

٣ ــ الإمام ــ عندهم ــ هو (العقل الأول [٢]) أي : الخالق .

٤ ــ الأئمة يعرفون الظاهر والباطن ، ولا يشاركهم في هذا أحد .

٥ ــ يجب السجود بين أيدي أئمتهم تعظيماً لهم .

*** عقيدتهم في الغيبيات :**

١ ــ آدم وحواء ــ عليهما السلام ــ ليسا أصلاً للنوع البشري عند الإسماعيلية ، وأرجعوا ذلك إلى تفاعل الأرض مع الكواكب والأفلاك[٣] .

٢ ــ يوم القيامة ــ عندهم ــ قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسدية .

والقيامة نوعان :

ــ صغرى : وهي مفارقة الجسد بعد الموت .

ــ كبرى : وهي أن تفارق كل النفوس الجزئية الموجودة في عالم الكون والفساد أجسادها . وتعودّ النفس الكلية إلى مبدعها وخالقها .

(١) يأتي تعريف (الفيض) في ثنايا هذه الرسالة ــ إن شاء الله تعالى ــ وانظر القاموس في آخر الرسالة .

(٢) انظر تعريف (العقل الأول) في القاموس الملحق بآخر الرسالة .

(٣) وهذا معناه انكار خلق الله تعالى للنوع البشري ، نعوذ بالله من الكفر والإلحاد !! .

٣ ــ القبر ــ عندهم ــ هو الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية ، وعذاب القبر هو تأثير النفوس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطباع .

٤ ــ منكر ونكير ــ عندهم ــ استيلاء القوة الشهوانية والغضبية.

٥ــ الحشر عندهم ــ انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانحيازها إلى ما فيه ذاتها .

٦ ــ النشر ــ عندهم ــ ظهور النفس في عالم بعد عالمهم على وفق مكتسباتها .

٧ــ الحساب ــ عندهم ــ أن توقف النفس الكلية النفوس الجزئية على ما صدر منها من الأقوال والأفعال والأعمال .

٨ ــ الصراط ــ عندهم ــ البرزخ ومعبر النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى .

٩ــ الجنة ــ عندهم ــ هي العوالم الثمانية : جنة الميراث وهي رتبة الإنسانية ، وجنة عدن وهي الرتبة الملكية ، وجنة الخلد ، وهي العوالم الفلكية ، والجنة العالية وهي العوالم الروحانية ، وجنة الفردوس ، وهي النفسانية ، وجنة النعيم وهي عالم العلم ، وجنة رضوان ، وهي عالم العقل ، وجنة المأوى ، وهي عالم الأمر .

١٠ــ أما النار فهي العوالم السبعة المتولّدة من الثلاثة الأركان : أولها لظى نزّاعة وهي كرة الأثير ، ثم الجحيم مركز الهواء والزمهرير ، ثم السعير مقر الماء ، ثم الهاوية مكان الغيرة ، ثم جهنم عالم الحيوان ، ثم سقر مرتبة النبات ، ثم سجين منزلة المعدن .

١١ ــ البعث ــ عندهم ــ مهزأة !! .

١٢ ــ العقاب والعذاب يؤولونه إلى ما تجده النفوس من الآلام والأوجاع والأسقام ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات [1]

---

(١) طائفة الإسماعيلية لمحمد كامل حسين . وتاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب . والحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية لمحمد الأعظمي . وفضائح الباطنية للغزالي .

قلت : والإسماعيلية اليوم حضور ووجود وتفاعل مع واقع العالم ، ولهم تنظيمات ومخططات حاقدة للقضاء على حضور الإسلام وأصوله . أنظر مثلاً : مجلة روزاليوسف (عدد ٢٣٦٩ سنة ١٤١٤هـ) وتأمل .

والإسماعيلية يقولون بالتناسخ وتأويل نصوص الشريعة ، وأن للقرآن معاني غير معانيه التي فهمها الناس ، وهم يسبّون الصحابة ويرمونهم بالألقاب القبيحة ، ويتأوّلون الحلال والحرام وغيرها من أركان الإسلام ، ويقولون بوحدة الأديان وأنها جميعاً متساوية .

****

وقد لقب ابن سينا في بعض التراجم ــ بالإسماعيلي الباطني :

يقول الذهبي رحمه الله : " كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية ، فقال : كان أبي تولّى التصرف بقرية كبيرة ، ثم نزل بخارى ، فقرأت القرآن وكثيراً من الأدب ولي عشر ، وكان أبي ممن آخى داعي المصريين ، ويعدّ من الإسماعيلية [1] " .

وسيأتي إيضاح أكثر لهذه الفقرة في ترجمة ابن سينا ــ إن شاء الله تعالى ــ.

ثانياً : الأشاعرة[2] :

طائفة من أهل الكلام ، ينسبون إلى أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)

وهم مرجئة في الإيمان ،، مؤولة في الصفات وهي أقرب فرق البدع والضلال لأهل السنة والجماعة ظهرت هذه الطائفة في حدود سنة (٢٤٥هـ*) وهي مزيج من مذهب الإعتزال ومذهب أهل السنة والجماعة وهم يثبتون لله سبع صفات يسمّونها (صفات المعاني) : العلم ، القدرة ، الإرادة ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام) .

وكثير من الأشاعرة لا يهتمون بتوحيد الألوهية ، مما جعل أكثرهم ينخرط في بدع التصوّف ، والسماح بالوسائل الشركية التي ترتكب عند أضرحة المشايخ المقبورين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٣١

(٢) انظر عن عقائدهم الباطلة : أساس التقديس للرازي ١٦٨ ــ ١٧٢ ــ والشامل للجويني ٥٦١ ، والإرشاد له ٣٥٩ ــ ٣٦٠ ، والمواقف للإيجي ٣٩ــ٤٠.

وانظر الرد عليهم في : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (الفهرس) الجزء الأول ، مواضع عديدة منه . والإيمان لابن تيمية ٣٣٩ وفيه فوائد في الرد عليهم .

ولا يخفى على كل لبيب أن أبا الحسن الأشعري رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة وتبرأ من مذهب الإعتزال . وقد أشار الذهبي ــ رحمه الله تعالى ــ في (السير) ٨٦/١٥ إلى هذا .

* وهو عام وفاة " عبدالله بن سعيد بن كلاب " .

ويقول الأشاعرة بالتأويل والمجاز والجدل الكلاميّ .

وقد تأثّر ابن سينا ببعض نظرياتهم وفلسفاتهم وضمّنها بعض مؤلفاته [١] .

*****

ثالثاً : الجهمية[٢] : اتباع : " جهم بن صفوان السمرقندي " (١٢٨هـ) : كان تلميذاً للجعد بن درهم وورث عنه التعطيل . من عقـائد الجهميّـة : الجـبر ، وإنكـار الاستطاعات كلها ، والقول بفناء الجنة والنار ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقـط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، ويقولون بنفي الصفات عن الله تعالى.

وقد عمل ابن سينا على شاكلة الجهم فنفى عن الله تعالى صفاته ، وقال بـالتعطيل ، كما سيأتي بيانه ــ إن شاء الله تعالى .

****

رابعاً : الصوفية [٣] : طائفة عكفت على العبـادة والانقطـاع إلـى الله تعـالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا . ويذكر المؤرخون أنّ أول من تسمّى بالصوفي هـو (أبو هاشم) المولود في الكوفة ، عاش في الشام ، توفي سنة (١٦٢هـ) ، وأن أوّل من حدّد نظريات التصوف وشرحها هو " ذو النون المصري " (٢٤٦هـ) وأن الذي شرحها وبوبّها ونشرها هو (الجنيد ٢٩٨هـ) ودعى إليـها مـن فـوق المنـابر (الشبلي ٣٣٤هـ) .

---

(١) فقال بقدم العالم ، والتأويل ، ونفي كثير من الصفات ، وتحريف الباقي منها ، وكذلك خلق القرآن .

(٢) الملل والنحل ١ /٨٦ ــ ٨٨ ، والوحدات للسكسكي ٢٤ ــ ٣٥ ، والفرق بين الفرق ١٥٨ ــ ١٥٩ .

(٣) من المؤلفين من يقول إن الصوفية أصلها من (الصفاء) وهذا قول مردود مغلوط نبه عليه ابن تيمية رحمه الله تعالى في (الفتاوى ١٠/٣٦٩) ومال رحمه الله إلى أن الصوفية نسبة إلى لبس الصوف الفتاوى ١١/١٩٥ .

وأنظر عن نشأة التصوف : مقدمة ابن خلدون (٥٣٣) والطبقات للشعراني ١/١٥ ــ ٢٣ .

ولمعرفة الخلاف حول تاريخ وفاة أبي هاشم ، أنظر : الموسوعة الميسرة في الأديان ١ /٢٥٥ .

وقد أثبت كثير من الباحثين أن التصوف تأثر بالتقشـف المسـيحي ، والنظريـات الأفلاطونية ، والمذاهب الهندية الفاسدة .

والحق أن هذا ينطبق على عدد مـن المتصوفـة الـذي أتـهموا بفسـاد المعتقـد " كـالحلاج " (٣٠٩هـ) " وابـن الفـارض " (٦٣٢هـ) " والسـهروردي " (٥٨٧هـ) " والشلمغاني " (٣٢٢هـ) .

وليس معنى هذا عدم وجود متصوّفة متمسكين بالكتاب والسنة ، فقد وجـد عـدد لا بأس به من أعلام الإسلام انتسبوا للتصوف دون التأثر بمصطلحاته ونظرياته التـي تخالف روح العقيدة الإسلامية . والمقصود أن ابن سينا تأثّر بـالمذهب الصوفـي واقتبس منه ووظّف مصطلحاته لنشر أفكاره الفاسدة [١] .

خامساً : المعتزلة : فرقة كلامية ، أسّسها " واصل بن عطاء " (١٣١هـ)

وهي فرق كثيرة ، يقوم مذهبهم على أصول خمسة :-

١ ــ التوحيد : قالوا : الله ليس جسماً ، ولا عرضاً ، بل هو خالق الأعراض والجواهر . لا يدرك بالحواس ، ولا يرى في الدنيا والآخرة ، وهو ليس في حيّز ومكـان ، ولـم يزل ، ولا يزال . كل شيء غيره ممكن الوجود ، وهو واجب الوجـود ، ووجـوده بذاته ، ووجود غيره من وجوده ، فهو خالق الموجودات ، وجميع الموجودات ممكنـة الوجود وحادثة .

٢ ــ العدل : ويقصدون به أن الله لم يخلق أفعال العباد ، ولا يحب الفساد ، بـل العبـاد يفعلون ما أُمروا به وينتهون عما نُهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم ، وقد خلطـوا بذلك بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

٣ ــ الوعد والوعيد : أي أن الله يجازي المحسن إحساناً ، والمسيء سـوءاً ، ولا يغفـر لمرتكب الكبيرة إلا أن يتوب .

٤ــ المنزلة بين المنزلتين : أي أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر ، فليـس بمؤمن ولا كافر [٢] .

---

(١) دراسات في التصوف (١١٩) .

(٢) ويسمى حينئذ فاسقاً ! .

٥ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ويهدفون من ورائه إلى الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق [١] .

وللمعتزلة أسماء عديدة من أشهرها : الجهمية ، والقدرية ، والثنوية ، والمجوسية ، ومخانيث الخوارج ، والوعيديه ، والمعطلة .. الخ [٢]

سادساً : الفلاسفة : واحدهم (فيلسوف) : وهو محب الحكمة .

والفلسفة : دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً ، وكانت تشمل العلوم جميعاً أما الآن فتشمل المنطق والأخلاق وعلم الجمال ، وما وراء الطبيعة.

والفلاسفة أقسام :

ــ **الفلاسفة الدهرية** : طائفة شاذّة من الفلاسفة تابعوا " ارسطوا " وخالفوا الأساطين المتقدمين من الفلاسفة ، وعقيدتهم في الله أنه : الوجود المطلق ، بشرط الإطلاق ، وليس عنده صفة ثبوتية تقوم به ، ولا يفعل شيئاً باختياره البتّة ، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلاً ، ولا يعلم عدد الأفلاك ، ولا شيئاً من المغيبات ، ولا له كلام يقوم به ، ولا صفة . ومعلوم أن هذا إما هو خيال مقدّر في الذهن ، لا حقيقة له ، وإنما غايته أن يفرضه الذهن ويقدره ، كما يفرض الأشياء المقدرة .

ــ **فلاسفة الفلسفة الإشراقية** : تجمع بين الفلسفة والتصوف ، وكان على رأسها " السهروردي " المقتول سنة (٥٨٧هـ)

قلت : تكاد تجزم الشواهد التاريخية أن أول من تكلّم في الفلسفة : (ثالس بن مالس الأمليسي) واحد من اشهر الفلاسفة السبعة السريانيين ، وقيل إن أوّل من سمى الفلسفة بهذا الأسم هو : (يوثاغورس) وهو أول من تكلّم بها أيضاً [٣] .

---

(١) المعتزلة للمعتق (ص٢٦٧)

(٢) المعتزلة للمعتق (٢٢ــ ٢٦)

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام ١٩ــ٥٢ ، ونشأة الفكر الفلسفي ١/١٠٢ ، وإغاثة اللهفان ٢ / ٣٧٣ ، وأصول الفلسفة الإشراقية ، والفهرست ٢٤٣ .

ومن الفلاسفة الذين تأثّر بهم ابن سينا : (إخوان الصفا) :

وهي جماعة فكرية دينية ذات نزعة شيعية إسماعيلية باطنية ، ظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، سنة (٣٧٣هـ) ، واتخذت من البصرة مقراً لها ، كانت تنظيماتها سرية ، ومعتقداتها مزج السياسة بالفلسفة والعلوم والدين ، أخذوا نظرية (الفيض) عند " أفلاطون " (٢٧٠ ق . م) ومزجوها بفلسفة : "فيثاغورس" (٥٠٧ق . م) في الأعداد ، وبفلسفة الفلاسفة الطبيعيين من القول بالعناصر الأربعة ، بالإضافة إلى فلسفة " ارسطو " (٣٢٢ ق . م) القائلة بالهيولي والصورة .

وأراؤهم إلحادية ، ومقولاتهم كفرية ، ونظرياتهم بدعية لا تستند على برهان قاطع ، أو دليل جامع [١] .

****

لقد تجرّع ابن سينا من معين القوم ، وكتب وحفظ ودوّن معتقداتهم فعمل بها وعلّمها (فلهذا كان ابن سينا وأمثاله من أهل دعوة القرامطة الباطنية من أتباع الحاكم الذي كان بمصر [٢] وهؤلاء وأمثالهم من رؤوس الملاحدة الباطنية ، وقد ذكر ذلك عن نفسه ، وأنه كان هو وأهل بيته من أهل دعوة هؤلاء المصريين الذين يسميّهم المسلمون الملاحدة ، لإلحادهم في أسماء الله وآياته إلحاداً أعظم من إلحاد اليهود والنصارى).[٣]

---

(١) أنظر عن كفرياتهم وإلحادهم وبدعياتهم :

ــ رسائل أخوان الصفا .

ــ تاريخ الفلسفة الإسلامية ٢٤٥ ــ ٢٤٦ .

ــ أخوان الصفا ١١٧ ــ ١١٨ .

ــ الحركات الباطنية ١٧٩ ــ ١٨٣ .

(٢) أنظر ص (٣٤) من كتابنا هذا .

(٣) درء التعارض ١ / ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .

وفي هذا الصدد أودّ أن أشير إلى نقطتين هامتين :

الأولى : أن ابن سينا ما كان ليبلغ ما بلغ من جرأة على العقيدة الإسلامية لولا فخره واعتداده بنفسه مما سوّل له الخوض في المسائل العقدية قدحاً وذمّاً ، وهذا ما عناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : " وابن سينا تكلّم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع ، لم يتكلم فيها سلفه ، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم ، فإنه استفادها من المسلمين ، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية ، وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض ... وابن سينا لما عرف شيئاً من دين المسلمين ، وكان قد تلقى ما تلقّاه عن الملاحدة وعمن هو خير منهم من المعتزلة والرافضة ، ارادا أن يجمع بين ما عرفه بعقله من هؤلاء وبين ما أخذه من سلفه ، ومما أحدثه مثل كلامه في النبوات وأسرار الآيات والمنامات ، بل وكلامه في بعض الطبيعيات وكلامه في واجب الوجود ونحو ذلك وإلا فأرسطو وأتباعه ليس في كلامهم ذكر واجب الوجود ، ولا شيء من الأحكام التي لواجب الوجود ، وإنما يذكرون (العلة الأولى) ، ويثبتونه من حيث هو علة غائية للحركة الفلكية يتحرك الفلك للتشبه به ، فابن سينا أصلح تلك الفلسفة الفاسدة بعض اصلاح حتى راجت على من يعرف دين الإسلام من الطلبة النظّار ، وصار يظهر لهم بعض ما فيها من التناقض ، فيتكلم كل منهم بحسب ما عنده ، ولكن سلّموا لهم أصولاً فاسدة في المنطق والطبيعيات والإلهيات ، ولم يعرفوا ما دخل فيها من الباطل ، فصار ذلك سبيلاً إلى ضلالهم في مطالب عالية إيمانية ، ومقاصد سامية قرآنية ، خرجوا بها عن حقيقة العلم والإيمان وصاروا بها في كثير من ذلك لا يسمعون ولا يعقلون ، بل يسفسطون في العقليات ، ويقرمطون في السمعيات " [1] .

(١) مجموع الفتاوى ٩ / ١٣٣ ــ ١٣٦ .

الثانية : المحاكاة والتقليد الأعمى لكل كافر وفاجر نظر في العلوم الفلسفية ، والمعارف الدينية ، التي زخرفوها وزينوها مع التشدّق بالمصطلحات الغريبة ، والجمل الأعجمية التي لا يعرفها سلف الأمة لا في الكتاب ، ولا في السنة " وابن سينا ذكر في إشاراته في (مقامات العارفين) في الترغيب فيه ، وفي عشق الصور ، ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة والصائبين المشركين ، الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، كأرسطوا وشيعته من اليونان ، ومن أتبعه كـ(برقلس) و (ثامسطيوس) و (الاسكندر الأفروديسي) .. وابن سينا أحدث فلسفة ركّبها من كلام سلفه اليونان ، ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية، ونحوهم ، وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ، ومزجه بشيء من كلام الصوفية ، وحقيقته تعود إلى كلام أخوانه الاسماعيلية القرامطة الباطنية " [1] .

(١) فتاوى ابن تيمية ١١/ ٥٧٠ وما بعدها ، وفيها فوائد يحسن الوقوف عليها .

ب ــ الحالة السياسية :

عاش ابن سينا في العصر العباسي الثاني ، وعاصر اثنين من خلفاء بني العبـــاس ، وإن لم يشاهدهما ، وهما :

١ ــ (القادر بالله) : أحمد بن إسحاق : (٣٣٦ ــ ٤٢٢ هــ)

كان حازماً مطاعاً حليماً كريماً ، دامت له الخلافة(٤١ سنة) وقام الإسلام في وقته ، وفتحت السند والهند ، وملكت الجزيرة والشام ، كان عالماً ، صنّف كتاباً في الأصول ، كفّر فيه المعتزلة ، والقائلين بخلق القرآن [(١)] .

٢ ــ (القائم بأمر الله) : عبدالله بن أحمد بن إسحاق : (٣٩١ــ٤٦٧هــ)

كان ورعاً عادلاً ، له عناية بالأدب والإنشاء . وفي عهده كانت فتنة (البساسيري) سنة (٤٥٠هــ)[(٢)] .

قلت : ولم يدُرك ابن سينا من خلافة (القائم) سوى ست سنوات حيث توفي ابـــن سينا سنة (٤٢٨هــ) .

ومما يجب ذكره أن الخلافة العباسية ازدادت ضعفاً منذ أوائل القرن الرابع الهجري ، لازدياد شوكة القوّاد من الأتراك وتفاقم خطر الدول المستقلّة ، فقد عظمـــت شوكة (علي بن بويه) في فارس ، وأصبحت الريّ وأصبهان وبلاد الجبل في يد أخيه (الحسن بن بويه)[(٣)] .

وقد وصف البيروني موقف الخلفاء العباسيين من سلاطين بن بويه (الشيعة) فقال: " إن الدولة والملك قد انتقلت من آل العباس إلى آل بويه ، والذي بقي فـــي أيـــدي الدولة العباسية إنما هو أمر ديني واعتقادي .. " [(٤)] .

---

(١) الأعلام ١ /٩٥

(٢) " البساسيري " قائد تركي ، كان يخدم القائم العباسي ، استولى على أمور الدولة في وقته ، فانقلب على القائم وأخرجه من بغداد ، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر ، اغتاله أعوان القائم فقتلوه سنة (٤٥١هــ)

والبساسيري لقبه ، واسمه : أرسلان بن عبدالله . أنظر : الأعلام ١ / ٢٨٧ . والبداية والنهاية ، حوادث سنة (٤٥٠هــ)

(٣) تاريخ الإسلام السياسي ٣ / ٢٤٧ .

(٤) الآثار الباقية ١٣٢ .

وكان بنو بويه شيعة غالية ، لذلك لم يعترفوا بأحقيّة الخليفة العباسي السنيّ في زعامة المسلمين ، ولذلك لم يكن للخليفة العباسي في عهدهم شيء من النفوذ ســـوى ذكر أسمه في الخطبة ونقشه على السكّة وذلك لأغراض سياسية غايتـــــها احتفـــاظ هؤلاء الحكام بمراكزهم أمام الجمهور وإعطاء حكمهم صبغة شرعية في البلاد ولولا خوف بني بويه من ضياع نفوذهم السياسي لما تورّعوا عن تحويـــل الخلافـــة مـــن العباسيين إلى العلويين [(١)] .

أما بيئة ابن سينا التي ولد وعاش فيها ، فقد كان يحكمها (السامانيون) وهي سُلالة فارسية بسطت سلطانها على الجزء الشرقي من إيران وعلى بـــلاد وراء النـــهر ، ومؤسسها : (سامان خوداه)[(٢)] .

وفيما يلي ثبت بأمراء هذه الأسرة :

١ ــ إسماعيل بن أحمد (٢٧٩ ــ ٢٩٥هــ)

٢ ــ أحمد بن إسماعيل (٢٩٥ ــ ٣٠١هــ)

٣ ــ نصر بن أحمد (٣٠١ ــ ٣٣١هــ)

٤ ــ نوح الأول بن نصر (٣٣١ ــ ٣٤٣هــ)

٥ ــ عبدالملك الأول بن نوح (٣٤٣ــ ٣٥٠هــ)

٦ ــ منصور الأول بن نوح (٣٥٠ ــ ٣٦٥هــ)

٧ ــ نوح الثاني بن منصور (٣٦٥ ــ ٣٨٧هــ)

٨ــ منصور الثاني بن نوح (٣٨٧ ــ ٣٨٩هــ)

٩ ــ عبدالملك الثاني بن نوح (٣٨٩ ــ .... ؟)

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٨ /٢٥٧ .

(٢) موسوعة المورد العربية ٢/٥٩٦ . ودائرة المعارف الإسلامية ١١/٧٦ .

وبعدهم جاء الغزنويون* الذين توسّعت دولتهم على حساب أمراء بني بويـه ، وقد استوزر ابن سينا لأحد أمرائهم .

ومن الجدير بالذّكر أنّ الفاطميين الشيعة كانوا يحكمون مصر وشمال أفريقيا ، وكان والد ابن سينا من أتباعهم . وقد كانت دولة الحمدانيين في حلب ، وهم أيضـاً من الإسماعيليين.[1]

****

(١) ابن سينا ــ حياته ــ وفلسفته (ص ٨) .

* وعلى أيديهم سقطت الدولة السامانية ، وقد أشرت إلى ذلك في كتابي : " محمود بن سبكتكين " وموقفه من عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص (٨) .

المبحث الثاني

﴿ حيـــاته ومؤلفاتـــه ﴾ *

أ ــ حياته :

أولا : نسبه :

الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ســـينا[1] البلخـــي ، البخـــاري (٣٧٠ ــ ٤٢٨هـ) يُلقب بـ (الشيخ) و (الرئيس) كنيته (أبو علي)

ولد بقرية من قرى بخارى يقال لها (خرميثا) . وكانت ولادته في شهر (صفر) واسم والدته (ستارة) ، وزعم المنجّمون أن ابن سينا لما ولد كان الطالع السـرطان درجة شرف المشتري ، والقمر على شرف درجته ، والزهرة على درجة شـرفها ، وسهم السعادة في تسع من السرطان ، وسهم الغيب في أول السرطان مع ســـهيل والشعرى اليمانية .

كان أبوه إسماعيلياً ، قال عن نفسه : (كان أبي ممن آخى داعي المصريين ، ويعدّ من الإسماعيلية)) وهذه شهادة مهمّة أدان ابن سينا بها نفسه [2]

* ترجمته في المصادر الآتية :
وفيات الأعيان ٢ / ١٥٧ ــ ١٦٢ ، البداية والنهاية ١٢/٤٢ ــ ٤٣ ، لسان الميزان ٢ /٢٩١ــ٢٩٣ ، ميزان الإعتدال ١/٥٣٩ ، تاريخ الحكماء ٤١٣ ــ ٤٢٦ ، الكامل في التاريخ ٩/٤٥٦ . أعيان الشيعة ٢٦/٢٨٧ .
عيون الأنباء ٤٣٧ ــ ٤٥٩ ، عيون التواريخ ١٢/١٥٩ ــ ١٦٦ . الشقائق النعمانية ١/٤٧٥ــ٤٧٨ .
تاج التراجم ١٩ . مرآة الجنان ٣/٤٧ ــ ٥١ ، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦١ ــ ١٦٢ .
الجواهر المضية ٢/٦٣ ــ ٦٣ . النجوم الزاهرة ٥ /٢٥ ــ ٢٦ شذرات الذهب ٣/٢٣٤ ــ ٢٣٧ .
هدية العارفين ١ / ٣٠٨ ــ ٣٠٩ المجددون في الإسلام (؟) ١٨٥ــ١٨٩ . طبقات الفقهاء (٧٠) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٢٠٣ . مؤلفـــات ابن سينا ٧/١٣ . والأعلام ٢ /٢٤١ . ومعجم المؤلفين ١ / ٦١٨ .

(١) سينا : اسم علم ، وأصلاً من حقق أنه اسم مكان . و" سيناء " المكان الذي نزل فيه الوحي على موسى بن عمران عليـــه السـلام . وفي التنزيل العزيز : و" طور سنين " .قال ياقوت الحموي : " وليس في الكلام العربي اسم مُركب من (س ، ي ، ن) إلا في قولك في اخـــرف سين " وذلك المكان موجود بالشام ، وهو جبل معروف إلى يومنا هذا . وفي قول الله تعالى ((وشـــجرة تخـــرج مـــن طـــور ســـيناء)) (المؤمنون ٢٠)
قرأ الكوفيون بفتح السين على وزن (فعلاء) . وفعلاء في كلا العرب كثير ، يمنع من الصرف في المعرفة والنكرة ، لأن في آخرها ألف التـــأنيث ، وألف التأنيث ملازمة لما هي عليه ، وليس في الكلام فعلاء ، ولكن من قرأ (سيناء) بالكسر جعله (فعلالاً) ، فالهمزة فيـــه كـــهمزة ـ ، حرباء) ولم يصرف في هذه الآية لأنه جُعل اسم بقعة . وزعم الأخفش أنه اسم أعجمي . انظـــر : الجـــامع لأحكـــام القـــرآن ١٢/٧٧ وموسوعة النحو والصرف والإعراب (ص ٥٠) .

(٢) درء التعارض ١٠ /٦٠

ثانياً : نشأته :

انتقلت أسرة ابن سينا إلى (بخارى [١]) في حدود سنة (٣٧٧هـ) وبدأ ابن سينا ـ وهو في سن مبكرة ـ في تكوين نفسه عقلياً وعلمياً وروحياً ، فقد اتصل بأشهر علماء عصره ، وجلس في دروس العلم يتفقّه ويتعلّم ، ويجادل ويناقش وهو في سنّ مبكرة .

لما أكمل من عمره عشر سنوات كان قد أتقن حفظ القرآن ، والأدب ، وأصول الدين ، وحساب الهندسة ، والجبر والمقابلة .

ولما بلغ ست عشر سنة كان قد أحكم الفقه والمنطق ، وعرف الطب واستطاع معالجة الناس والتعرّف على الأمراض والأدوية .

وببلوغه ثمان عشرة سنة كان قد فرغ من تحصيل كل العلوم المتاحة في عصره [٢].

لقد استفاد ابن سينا من علماء عصره ، لاسيما اثنين منهم،هما :

١ ـ أبو عبدالله الناتلي : قرأ عليه كتاب (إيسا غوجي) وأحكم عليه علم المنطق و(إقليدس) و (المجسطي) .

٢ ـ إسماعيل الزاهد : وقرأ عليه الفقه (الحنفي) .

---

(١) بخارى : مدينة في الجزء العربي من جمهورية أوزبكستان السوفياتية سابقاً . دخلها المسلمون سنة (٨٩هـ) ، ازدهرت في عهد السامانيين . سكانها (١٥٠,٠٠٠) نسمة .

(٢) قلت : ليس ذلك بغريب ولا بعجيب على قوم فرغوا قلوبهم وعقولهم لطلب العلم وتسنم سُلم المجد ، ويعود ذلك ـ في رأيي ـ إلى ثلاثة أسباب :

الأول : كان طلبهم للعلم في سن مبكرة بجد واجتهاد وعزيمة تشق الصخر .

الثاني : الإخلاص للعلم والتضحية براحة الجسم وعافيته ، والتفاني في ذلك . والمترجم له يقول عن نفسه إنه لم ينم ليلة واحدة بكمالها ، وإنه قرأ كتاب أرسطو " ما وراء الطبيعة " أربعين مرة !

الثالث : البيئة والعصر والظروف الحياتية الخالية من التكلف والتعقيد التي تصرف صاحبها ـ أحياناً ـ عن طلب المعارف . وللفائدة انظر " كلمة العلامة (محمد فؤاد سزكين) صاحب كتاب " تاريخ التراث العربي " التي ألقاها في اللقاء الرابع لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، في الرياض سنة (١٣٩٩هـ) . ذكرها الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ـ عفى الله عنه ـ في كتابه (صفحات) ص (٣٥٦)

وقد استطاع ابن سينا إدراك العلوم في عصره في زمن يسير لأمرين :

الأول : همّته العالية ، وعزيمته القوية . وما أحسن قول الشاعر [١] .

يُشيعني قلب إلى العزّ تائق ... ونفس إلى العليا شديد نزوعها

اشرّفها من أن يكون إباؤها ... لواجب حق أو يضيم خنوعها

وما أنا في السّراء يوما فروحها ... ولا أنا في الضرّاء يوماً جزوعها

سأنزلها الملحود أو رأس هضبة ... من العزّ يعيي كل راق طُلوعُها

وما طلبي العلياء إرث كلالة ... فيقصر خطوي دونها فأسوعها

عليّ لها سعي الكرام فإن أمت ... فوهابُها سلاّبها ونزوعها

وقد وصف أصحاب التراجم علّو همته بقولهم : ((وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها ، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة ، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضّأ وقصد المسجد الجامع ، وصلّى ودعا الله عز وجل أن يُسهّلها عليه ، ويفتح مغلقها له [٢])) .

الثاني : سعيه لتحقيق مآربه الفاسدة ، وأهدافه السيئة :

ويمكن إيضاح ذلك في النقاط الآتية :

١ ـ إعجابه الشديد بالفيلسوف الملحد (ارسطو[٣]) وشغفه بنظرياته ومقولاته ومقالاته ، ومحاولة التقريب بين الدين الإسلامي وفلسفة المشائين ، مع أنه قد خالفهم في كثير من مؤلفاته [٤] .

---

(١) حياة علي بن المقرب العيوني ٢٢٧

(٢) وفيات الأعيان ٢ / ١٥٨

(٣) أرسطو (٣٨٤ـ٣٢٢ق / م) فيلسوف يوناني . أسس مذهب (الشقة المشائين) أهم مؤلفاته (المقولات) و(الجدل) و(الخطابة) و(ما بعد الطبيعة) و(السياسة) و(النفس) أسهمت كتاباته في نشر الإلحاد والزندقة وتشكيك بعض المسلمين في عقيدتهم وتوحيدهم . وكل الفلاسفة الذين يسمون اليوم ظلماً وبهتاناً (فلاسفة الإسلام) هم في الحقيقة بعض غرسه الذي يذرد ، فإلى الله المشتكى .

أنظر في الرد على شطحاته وكفرياته : درء التعارض ١ / ١٢٦ ـ ١٣٢ ـ ١٥١ و٣ /١٦٢ ، ١٦٣ و ٦ /٦٤ـ ٦٨ .

(٤) يري بعض الكتاب أن فلسفة ابن سينا مستقاة من فلسفة (السهروردي) .انظر تاريخ الفلسفة الإسلامية .هنري كوربان (ص٢٦٤)

" وقد صرح أرسطو وسائر الفلاسفة أن الممكن ، الذي يمكن وجوده وعدمه ، لا يكون إلا مُحدثاً ، وأن الدائم القديم الأزلي لا يكون إلا ضروريا ، لا يكون محدثاً ، وابن سينا واتباعه وافقوهم على ذلك ، كما ذكروا ذلك في المنطق في غير موضع .. لكن ابن سينا واتباعه تناقضوا بسبب أنهم لمّا وجدوا المتكلمين قد قسّموا الموجود إلى واجب وممكن ، والممكن عندهم هو الحادث ، سلكوا سبيلهم في هذا التقييم ، وأدخلوا في الممكن ما هو قديم أزلي ، ونسوا ما ذكروه في غير هذا الموضع : من أن الممكن لا يكون إلا محدثاً . وكان ما ذكره هؤلاء ، وسائر العقلاء ، دليلاً على أن ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن ، لما ثبت أنه ليس بواجب الوجود موجوداً بنفسه إلا الله وحده ، وأن ما سواه مفتقر إليه . وكان ما ذكره أرسطو وسائر العقلاء مبطلاً لما ذكره ابن سينا واتباعه في الممكن وتناقضوا فيه ، وكان ما ذكره ابن سينا واتباعه من العقلاء في الواجب بنفسه مبطلاً لما ذكره أرسطو واتباعه .. [1] " .

وأستمع إليه يقول : " أعدت قراءة كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو أربعين مرة حتى صار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه " [2] .

" وكان أهل بيت ابن سينا من اتباع هؤلاء القرامطة ، من المستجيبين للحاكم الذي كان بمصر . قال ابن سينا : وبسبب ذلك دخلت في الفلسفة " [3] .

٢ ــ تقربه من الحكام الذين أتهموا في عقائدهم ، ومحاولة ارضائهم بتحوير المسائل الدينية إلى ما يوافق نزعاتهم وأهوائهم .. يقول ابن الأثير رحمه الله [4] : " وكان ابن سينا يخدم علاء الدولة (ابو جعفر بن كاكويه)[5] ولا شك أن أبا جعفر

---

(١) درء التعارض ٨ / ١٨٦

(٢) طبقات الأطباء ٤٣٩ . والوافي بالوفيات ١٢/٣٩٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٣٢ .

(٣) اغاثة اللهفان ٦٢٢ . وفتاوي ابن تيمية ١٣ /١٧٧ . ودرء التعارض ٥ / ١٠ .

(٤) الكامل ٨ / ١٥ .

(٥) اسمه : (دشمنزيار) وإنما قيل كاكويه لأنه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه ، وكاكويه هو الخال بالفارسية . انظر أخباره في : الكامل ٧ / ٢٣٩ ، والفهرس العام .

فاسد الاعتقاد ، فلهذا أقدم ابن سينا على تصانيفه في الإلحاد ، والرد على الشرائع في بلده " .. " والمقصود هنا أن هؤلاء الملاحدة يحتجون على النفاة بما وافقوهم عليه من نفي الصفات والإعراض عن دلالة الآيات ، كما ذكر ذلك ابن سينا في (الرسالة الأضحوية) التي صنفها في المعاد لبعض الرؤساء الذين طلب تقربه إليهم ليعطوه مطلوبه منهم من الجاه والمال وصرح بذلك في أول هذه الرسالة[1] " .

٣ ــ تسنمه منصب الوزارة في (همذان) للأمير (شمس الدولة بن بويه) سنة (٤٠٥هـ) وهذا يسر له بث سمومه ، ونشر آرائه ومعتقداته ، وفرض أفكاره على خصومه .

يروي السمرقندي نظام الوزير ابن سينا في يومه قائلا : " كان يستيقظ قبل الفجر ليكتب بضع صحائف من (الشفاء) ، وعند الفجر كان يستقبل تلاميذه للمدارسة حتى تنتشر تباشير الصبح فيصلي بهم إماما . وعند خروجه إلى الديوان كان يلقاه ألف من الفرسان . ومن بينهم وجوه الدولة وأصحاب الحاجات ، فيركب الوزير فرسه وحوله الحاشية حتى يصل إلى مقر عمله فيمكث إلى الظهر . ثم يعود لتناول الغذاء الذي كان يشاركه فيه خلق كثير . ثم يقيل بعد ذلك طلبا للراحة . ثم يستيقظ فيؤدي صلاة العصر . وبعد ذلك يلزم الأمير للمنادمة والمحادثة حتى يصلي المغرب [2] " .

ويروي الجوزجاني : " وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وكنت اقرأ من (الشفاء) نوبة ، وكان غيري من (القانون) نوبة [3] " .

****

---

(١) درء التعارض ٥ /١٠ .

(٢) شهار مقالة (ص ٣٨) . انظر : ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٤١ .

(٣) أخبار الحكماء ٢٧٣ .

ثالثا : رحلاتـــــه :

١ ـــ رحل من مسقط راسه (خرمثينا) ، إلـــى (بخـارى) فـي حـدود سـنة (٣٧٧هـ) وعمره مبع سنوات .

٢ ـــ رحل من (بخارى) إلى (كركانج) سنة (٣٩٢هـ) بسب اضطراب أمـور الدولة السامانية ، وعمره أثنان وعشرون عاماً .

٣ ـــ رحل من (كركانج) إلى (جرجان) سنة (٤٠٣هـ) بأمر من الأمير (علـي بن مأمون) للاختفاء من السلطان (محمود بن سبكتكين) (٤٢١هـ) [1] ، الذي طلب الوفود عليه للإقامة في بلاده .

٤ ـــ وصل (جرجان) بعد معاناة شاقة ، ومكث فيها مدة عامين .

٥ـــ رحل من (جرجان) إلى (الريّ) عاصمـــة " مجـد الدولـة ابـن بابويـه " سنة (٤٠٥هـ) .

٦ ـــ رحل من (الريّ) إلى (همذان) وتولّى فيـــها الـوزارة للأمـير " شـمس الدولة بن بويه " .

٧ ـــ رحل من (همذان) بعد أن اقيل من الوزارة سنة (٤١٢هـ) إلى اصفـهان) وأستقرّ بها سنة (٤١٤هـ) بعد أن زار عدداً من قـرى (خراسـان) ، وفـي (أصفهان) مكث أربع عشرة سنة في كنف " أبي جعفر بن كاكويه " الذي أتهم بفساد العقيدة . .

٨ ـــ رحل من (أصفهان) إلى (همـذان) سـنة (٤٢٦هـ) برفقـة الأمـير (ابن كاكويه) ، وفيها كثرت عليه الأمراض والأوجاع إلـى أن توفـي بـها سنة (٤٢٨هـ).

---

(١) محمود بن سبكتكين (٣٦١ ـــ ٤٢١هـ) فاتح الهند ، السلطان الغزنوي ، تركي الأصل ، كان محباً للعلماء . وكان على مذهب الكرامية في الاعتقاد . له أخبار كثيرة أفردها في كتاب عن عقيدته .

رابعاً : أخلاقـــــه :

إذا ضعف إيمان العبد بالله تسلّطت عليه العادات القبيحـــة ، والخصـال البذيئـة ، والأخلاق الوضيعة . ومن طالع شيئاً من مصنفات ابن سينا وقرأ كيـف يتلاعـب بأصول الشريعة ، وأركان الملّة ، ويسفّه الأنبياء ، ويسخر من الصحابة ، تبيّن لـه انحدار أخلاق الرجل ، وقلّة دينه .

يقول ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ : " أهل الإيمان ينالون فـي المـدة اليسـيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال [1] " .

وهذه أمثلة يسيره تعكس حقيقة أخلاق ابن سينا :-

١ ـــ روى البيهقي أن (ابا جعفر بـن كاكويـه) أهـدى ذات مـرّة إلـى ابـن سينا " منطقة مفضضة " [2] وبعد قليل من الزمن وجدها مع بعـض غلمانـه ، فاعتبر ذلك إهانة له : وصكّ الفيلسوف على وجهه صكّة شديدة ثم أمر بقتله . [3]

٢ ـــ أجتمع ابن سينا يوماً مع ابي منصور الجبّائي اللغوي بحضـرة الأمـير ابـن كاكوية ، وجرى ذكر مسألة في اللغة فتكلّم فيها ابن سينا بما حضره مما دفع ابو منصور إلى أن يتهكّم عليه قائلاً : أنت فيلسوف وحكيم ولم تقرأ اللغة . عكـف ابن سينا بعد ذلك على دراسة اللغة ثلاث سنوات كاملة . ثم أنشأ ثلاث قصـائد ضمّنها ألفاظاً غريبة في اللغة ، وكتب رسائل فـي النـثر بأسـاليب مختلفـة ثم أمر بها فأخلق جلدها ، وأوعز إلى الأمير أن يستدعي الجبّائي ويعرض كـل ذلك عليه زاعماً أنه قد ظفر بها وقت الصيد في الصحراء . ولما انكشف جـهل الجبائي بها ، تقدّم ابن سينا وأخذ يشرح ما أستغلق على الجبائي فهمه [4] .

وقد أدرك الجبائي وقتها أن هذه مكيدة من ابن سينا لكي يعلمه بحقيقة ما تعلّمه .

---

(١) نقض المنطق لابن تيمية ص ٨ . وهداية الحيارى لابن القيم ٢٣٤ ـــ ٢٤٨ .

(٢) المنطقة : ما يشد به الوسط ، جمعها (مناطق) المعجم الوسيط (نطق)

(٣) تاريخ حكماء الإسلام ص ٣٥

(٤) عيون الأنباء ٢ / ٧

٣ ـ دخل ابن سينا مرّة على " مسكويه " (٤٢١هـ) وهو من علماء اللغة ـ والتلاميذ حوله ، فرمى ابن سينا إليه بجوزة وقال له : بيّن مساحة هذه الجوزة بالشعيرات ، فرفع مسكويه أوراقاً في الأخلاق ورماها إلى ابن سينا ، وقال له : أمّا أنت فاصلح أخلاقك أولاً حتى أستخرج مساحة الجوزة[١] .

قلت : وفي الوقوف على عقيدته ومعرفة شطحاته أعظم دليل على بيان أخلاقه .

****

خامساً : وفاتـــه :

" كان أبو عليّ قوي المزاج ، وتغلب عليه قوّة الجماع حتى أنهكته ملازمته وأضعفته ، ولم يكن يداوي مزاجه ، وعرض له قولنج[٢] ، فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات ، فقرح بعض أمعائه وظهر له سحج [٣] . واتفق سفره مع علاء الدولة ، فحصل له الصرع الحادث عقيب القولنج ، فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في جملة ما يحقن به . فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسة دراهم منه ، فازداد السحج به من حدة الكرفس ، فطرح بعض غلمانه في بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أنّ غلمانه خانوه في شيء . فخافوا عاقبة أمره عند بُرئه ، وكان مذ حصل له الألم يتحامل ويجلس مرة بعد أخرى ولا يحتمي ، ويجامع ، فكان يمرض أسبوعاً ويصلح أسبوعاً . ثم قصد علاء الدولة همذان

---

(١) ابن سينا : حياته ، وآثاره ص (١٦)

(٢) القولنج : مرض يصيب الأمعاء الغليظة ، ويسمى اليوم (القولون) العصبي ، ومن أعراضه احتباس الريح .

انظر رسالة : مداواة الرجل للمرأة ص (١٠٤)

(٣) السحج : قشور تخرج عقب المرض .

من أصبهان ومعه الرئيس أبو علي ، فحصل له القولنج في الطريق ، ووصل إلى همذان وقد ضعف جداً ، وأشرفت قوّته على السقوط ، فأهمل المداواة وقال : المدبّر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا تنفعني المعالجة .. ثم أغتسل وتاب وتصدّق بما معه على الفقراء ، وردّ المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمه ، ثم مات بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها " [١] .

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ١٦٠ ، وعيون الأنباء ٥٨ ، والوافي بالوفيات ١٢ / ٤١١

والكامل في التاريخ ٨ / ١٥ وفيه أنه توفي في (شعبان) والصحيح ما ذكر أعلاه .

قلت : تتردد في بعض المصادر أن ابن سينا مات في السجن ، ويستشهدون ببيتين من الشعر ينسبان إلى :

" موسى بن يونس بن محمد بن منعة " وهما :

- رأيت ابن سينا يعادي الرجال .... وفي السجن مات أخسّ الممات

فلم يشف ما ناله بالشفا ...... ولم ينج من موته بالنجاة

ورواية موت ابن سينا في السجن غير صحيحة ـ في نظري ـ لأمرين :

الأول: تواتر الأخبار التي تفيد أن ابن سينا مات بالقولنج وهو بصحة الأمر ، و لم يرد ما يخالف ذلك ، فثبت بطلان غيره ،

الثاني : حجة القائلين بوفاة ابن سينا مسجوناً ما ورد في البيت الأول وهي لفظة (الحبس) ويعنون بالحبس : (السجن) لكن من خلال الروايات التي تفيدنا بمرض ابن سينا بعلة القولنج ـ وهو مرض يصيب الأمعاء ، ومن أعراضه احتباس الريح في البطن ـ يزول بحمد الله الأشكال ، ويثبت يقيناً أن ابن سينا مات بحبس ريحه لا بحبس بدنه بين القضبان .

ومما يؤكد هذا أن الشاعر أراد استعمال لوناً من ألوان البديع في البلاغة العربية وهو الجناس ...

كما في : (الحبس) و (الشفا) و (النجاة) ، فروى لنا حياة ابن سينا وهو يعادي الرجال حتى توفي محبوساً بطنه فلم يشفه ما صنفه من كتب (الشفاء) ولا (النجاة) فمات على تلك الحال .

للفائدة انظر : ابن سينا بين الدين والفلسفة (ص ٤٧)

ب ـ مؤلفاتـــــه :

تحدثنا في الصفحات السابقة عن العلوم التي حصّلها ابن سينا في مدة وجيزة ، وأن نبوغه وهمّته مهّدتا له طريق المعرفة وتحصيل العلوم .

وقبل استعراض مؤلفاته ، أرى أنه من الضروري بيان المصادر التي استقى منها ابن سينا ثقافته وعلمه :

أولا : ثقافة والده الإسماعيلي : (عبدالله بن الحسن بن سينا)

" كان أهل ابن سينا من أتباع هؤلاء القرامطة ، ومن المستجيبين للحاكم الذي كان بمصر* . قال ابن سينا : وبسبب ذلك دخلت في الفلسفة [1] " لقد كان (عبدالله بن عليّ) والد ابن سينا يستضيف في داره دعاة الشيعة الإسماعيلية من المصريين ، وكان محبًا للفلسفة والفلاسفة ، كثير المطالعة لرسائل إخوان الصفا المليئة بالكفر والإلحاد والزندقة " فلهذا كان ابن سينا وأمثاله من أهل دعوة القرامطة الباطنية من اتباع الحاكم الذي كان بمصر ، وهؤلاء وأمثالهم من رؤوس الملاحدة الباطنية ، وقد ذكر ذلك عن نفسه ، وأنه كان هو وأهل بيته من أهل دعوة هؤلاء المصريين الذين يسميهم المسلمون الملاحدة ، لإلحادهم في أسماء الله وآياته إلحادً أعظم من إلحاد اليهود والنصارى " [2] .

وقد وكان ابن سينا في صغره يسمع من جلساء والده في داره أحاديثاً تدور حول النفس والعقل على ما جرت به عادة الشيعة . وقد تقدّم أن ابن سينا درس المنطق وشيئاً من كتب الفلاسفة على شيخه أبي عبدالله الناتلي الذي تخرّج في مدرسة الفارابي المعروف حينها بالحكمة والفلسفة والمنطق [3] .

* الحاكم بأمر الله : منصور بن نزار بن معد الفاطمي (٣٧٥ ـ ٤١١ هـ) من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر أدّعى الألوهية ، وعقّى وأفسد العباد والبلاد ، وله أطوار غريبة ، اغتيل فأوتاح الناس لهلاكه .
أنظر : الحاكم بأمر الله / محمد عبدالله عنان .

(١) درء التعارض ١ / ٢٨٩

(٢) درء التعارض ١ / ٢٨٩ ـ ٢٩٠

(٣) طبقات الأطباء ص (٤٣٨)

ثانياً : نظريات أرسطو ومقولاته (المعلّم الأول للشر)

شغف ابن سينا بأرسطو شغفاً عظيماً ، واقبل على مصنفاته في الأخلاق والسياسة والمنطق يقرؤها بتدبّر وتأمّل ، ويقول عن نفسه : " أعدت قراءة كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو أربعين مرة حتى صار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه " [1] .

وارسطو ـ مع شهرته بأنه يؤمن بوجود الله ـ إلا أنه يقول بقدم العالم ، وأغلب نظرياته مبنيّة على أديان المشركين الصابئين القائلين بالسحر الطبيعي والسحر الروحاني .وله عبارات ينفي بها صفات الله تعالى ، يزعم فيها أنّه ليس لله صفة ثبوتيه ، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية ، وهذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ هو مذهب القرامطة الباطنية القائلين بدعوة الكواكب والشمس والقمر والسجود لها .. وقد زعم أرسطو أن الله تعالى يحرك العالم حركة شوق كتحريك المحبوب لمحبه ، والإمام المقتدى به للمؤتم المقتدي به ، فالله عنده علّة بهذا الاعتبار ، فيكون الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يبدع الكون وحركته[2] .

ومع أن ابن سينا قد خالف شيخه أرسطو في كثير من نظرياته ، إلا أنه وافقه في كثير من مقولاته الشهيرة ونقل عنه في أشهر كتبه مثل : (النجاة) و (الإشارات) و (الشفاء) : " كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم " (البقرة ١١٨) .

ولا أجزم أن ابن سينا كان يجهل أن الفلاسفة اليونانية إذا دهمتهم نازلة كانوا يذهبون إلى قبر (أرسطو) لحصول المدد والفيض من قبره [3] وقد صدق من قال : (وقعوا في هوّة تترامى بهم أرجاؤها)[4] .

وقد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا [5]

(١) وفيات الأعيان ٢ / ١٥٥ .

(٢) درء التعارض ١ / ٢٩٧ .

(٣) المطالب العالية ٧ / ٢٢٨ .

(٤) مجمع الأمثال للميداني ٣ / ٤٤٢ ، والهوة : الحفرة البعيدة القعر .

(٥) القائل : " ذو الرمة " غيلان بن عقبة ، شاعر (٧٧ـ ١١٧هـ) والبيت من قصيدة في مدح عمر بن هبيرة.

ثالثا : فلسفة الفارابي (المعلم الثاني للشر) .

يعد (الفارابي) من كبار ائمة الملاحدة والزنادقة اللاعبين بالإسلام ، وهو الذي زعم أن الفيلسوف أكمل من النبي ، وقد أطلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ لقب (الضال الكافر) . وهو شيخ المتفلسفة ، تخرج ابن سينا على كتبه وكفرياته ، وكان قبوريا وثنيا ، من أتباع الباطنية الإسماعيلية . من طاماته أنه زعم أن العقل يستبعد معاد الأبدان ، فلا بعث ولا نشور ولا حشر ولا حساب ولا عقاب في ميزان المعلم الثاني للشر . وزعم أيضا أن النبوة تخييل وخداع لا حقيقة لها [(١)] .
وقد نهل ابن سينا من معينه ، وتضلّع من خرافاته ، نعوذ بالله من الخذلان ! .

****

رابعاً : المصطلحات الكلامية الشائعة :

لا شك أن ترجمة المسلمين لكتب الفلسفة والمنطق قد جرّت عليهم ويلات كثيرة .
ومن أعظم البلايا أن ينظر المسلمون إلى حضارات وثقافات الأمم الأخرى بعين الإكبار والإعجاب . وقد أدّى ذلك إلى الاشتغال بالكيمياء والتنجيم كما ثبت عن الأمير الأموي (خالد بن يزيد [(٢)]) الذي أعتزل السياسة وركن إلى النظر في علوم العجم بعين الرضا والفخر .

وقد ظهرت طائفة ممن ينتسبون إلى الإسلام وقالوا : إن العلوم الإلهية غامضة خفية ، ولا يمكن معرفتها إلا عن طريق المنطق . فانبرى جماعة من المتكلمين على علوم القوم فترجموها ونشروها وأظهروها للناس بعُجرها وبجرها ، ونتج عن هذا كله ظهور مصطلحات كلامية اختلطت بكتب أهل السنة والجماعة وفشت وانتشرت في المعاهد والمدارس وحلقات العلم .

---

(١) الفارابي / محمد بن طرخان ، أبو نصر ، تركي الأصل ، موطنه ومولده في (فاراب) بخراسان سنة (٢٥٩هـ) وكانت وفاته سنة (٣٣٩) انظر بعض كفرياته في : مجموع الفتاوى ٢/٦٧ ــ ٨٦ ، ودرء التعارض ١ / ١٠ ، وإغاثة اللهفان ٢ /٣٧٢ ــ ٣٧٣ .
(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، له اشتغال بالفلسفة والطب ، توفي في دمشق سنة (٩٠هـ)

وهذه بعض تلك المصطلحات : ــ[(١)]

١ ــ الأعراض ٢ ــ الجسم ٣ ــ البداء ٤ ــ التركيب
٥ ــ الجهة ٦ ــ الجوهر ٧ ــ الجبر ٨ــ الحدّ
٩ ــ العقل الفعّال ١٠ ــ العلة الأولى ١١ ــ العلة الفاعلة
١٢ ــ القوة الخفية ١٣ ــ القوة العليا ١٤ ــ القوة المدبّرة
١٥ــ التصلية ١٦ــ السر الجامع ١٧ــ معدن الأسرار
١٨ــ الطواسين ١٩ ــ لفظي بالقرآن مخلوق
٢٠ ــ الاصطلام ٢١ ــ السُكر
٢٢ ــ الغوث ٢٣ــ الذات
٢٤ ــ بائن ٢٥ــ الوحي الداخلي ٢٦ــ الفيض
٢٧ــ الواجب ٢٨ــ الممكن ٢٩ــ القديم
٣٠ــ واجب الوجود ٣١ــ العقل الأوّل ٣٢ــ الطفرة .

وقد وظّف ابن سينا هذه المصطلحات في كل مؤلفاته وحجب بها كثيراً من الحق لنصرة باطله ! .

****

---

(١) أشرت إلى معان بعض تلك المصطلحات في آخر الكتاب ، فراجعها إن شئت .
قلت : روى مطهر المقدسي في كتابه " (الحجة على تارك المحجة) قصة إخراج كتب اليونان إلى الإسلام ، وذلك أن ملك الروم في عهد (يحيى بن خالد بن برمك) جمع الكتب اليونانية وبنى عليها بناءً مطمساً بالحجر والجص حتى لا يُتوصل إليها خوفاً على قومه من ضررها . ولما أفضت رياسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد ، وكان زنديقاً ، علم بخبر الكتب فاحتال في طلبها حتى أخذها ، وندب الزنادقة إلى ترجمتها ، ومما ترجموه منها ، كتاب : حد المنطق . انظر : صون المنطق والكلام للسيوطي ص (٧ ــ ٨)
وكشف الظنون ٢ / ١٥٩٤ وفيه أنه أول من حثّ على تعريب (المجسطي) من كتب المنطق .
وقد ولد يحيى سنة (١٢٠هـ) وتوفي (١٩٠هـ) في نكبة البرامكة الشهيرة .
انظر للفائدة : إرشاد الأريب ٧/٢٧٢ . والبيان المغرب ١/٨٠ . والبداية والنهاية ١٠/٢٠٤ .

ورحم الله الشافعي حين قال : " لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك به ، خير من النظر في الكلام ، فإني والله اطلعت من أهل الكلام على شـــيء مـــا ظننته قط " [١] .

ورحم الله الإمام أحمد القائل :" لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبّوا عن السنة " [٢] .

******

*** مؤلّفات ابن سينا :**

بلغت مؤلفات ابن سينا ست وسبعون ومئتا كتاباً ورسالة . وقـــد تنـــاولت مؤلفاتـــه موضوعات عديدة من المنطق والفلسفة والإلهيات والطبيعيات والأخلاق والسياســـة والتصوّف والطب والفلك والرياضيات واللغة والنفس والشعر [٣].

وهذه أهمّ ما وقفت عليه من مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة :

أ ــ في المنطق :

١ ــ منطق المشرقيين (ط) .

٢ ــ أقسام العلوم العقلية (ط).

٣ــ كتاب الأوسط الجرجاني في المنطق (ط) .

٤ــ الموجز في المنطق (ط) .

٥ ــ رسائل الحدود (ط) .

٦ــ أسرار الحكمة المشرقية (ط) .

---

(١) الحلية لأبي نعيم ٩/١١١ . وذم الكلام للهروي ٢٥٥ .. وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ٣٣٥ .

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٢٠٥ .

(٣) يمكن الرجوع إلى المؤلفات التي استوفت الحديث عن مؤلفات ابن سينا ، مثل :

ــ مؤلفات ابن سينا ، جورج قنواتي .

ــ الوافي بالوفيات ١٢/٤٠٤ ــ ٤٠٦ .

ــ عيون الأنباء ٤٥٧ ــ ٤٥٩ .

ــ معجم المطبوعات ١٢٧ــ ١٣٢ .

ــ المهرجان الألفي لابن سينا (بحوث ومقالات)

ــ هدية العارفين ١/٣٠٨ .

ب : في الفلسفة والإلهيات : [١]

١ ــ الشفاء (ط) [٢] .

٢ ــ النجاة (ط) .

٣ ــ الإشارات (ط) .

٤ ــ الإنصاف (خ) .

٥ ــ عيون الحكمة (ط) .

٦ ــ التعليقات (ط) .

٧ ــ الرسالة الأضحوية (ط) .

٨ ــ رسالة إثبات النبوات (ط) .

٩ ــ أسرار الصلاة (ط) .

١٠ــ المعاد (خ)

١١ــ رسالة في معرفة ذات الله وصفاته وافعاله .

١٢ــ رسالة التوحيد .

١٣ ــ رسالة في إثبات النبوة .

١٤ ــ رسالة القضاء والقدر [٣] .

---

(١) أشار بعض المؤرخين إلى أمر مهم يتعلق بثقافة ابن سينا وهو أنه لما عالج ابن سينا الأمير (نوح بن منصور) والتحق بخاصته ، فتح له الأمير مكتبته التي قال فيها ابن سينا : (ورأيت فيها من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، ولا رأيته قبل ، ولا رأيته أيضاً من بعـــد ، فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه)وأراد الله أن تحترق تلك المكتبة أو تحرق ! كما تقول ابن خلكان : (وكان يقال : إن أبا علي توصل إلى احراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها وينسبه إلى نفسه) ويقول ابن كثير : (ويقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه) .

قلت : هذه دعوة إلى من حققوا التاريخ ، ومازوا لُبابه من قشوره ، وكان لهم من القوة عليه ما يعرفهم إلى الأخذ بيده ، أن يكتشـــفوا لنـــا حقيقة هذه الرواية ، ويوضحوا الحق فيها لنكون على بصيرة من تاريخ أمتنا وحضارتنا .

أنظر الوفيات ٢/١٥٨ ، والبداية ١٢/٤٥ ، واخبار العلماء (ص ٢٧١) .

(٢) روى ابن العماد عن اليافعي قوله : (طالعت كتابه الشفا ، وما أجدره بقلب الفاء قافاً لاشتماله على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين والله أعلم بحالته وصحة توبته) .

شذرات الذهب ٣ / ٢٣٧ .

(٣) المصدر السابق وما قبله .

ج : في النفس :

١ ــ رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها (ط) .

٢ــ رسالة في أحوال النفس (ط) .

٣ــ رسالة في بقاء النفس الناطقة (ط).

٤ــ رسالة في تعلّق النفس بالبدن (ط) .

٥ ــ مقالة في النفس (ط)

****

د : في السياسة والأخلاق والتصوّف :

١ ــ كتاب السياسة (ط) .

٢ ــ رسالة الأرزاق (خ) .

٣ ــ رسالة العشق (ط) .

٤ ــ رسالة الأخلاق (خ) .

٥ ــ رسالة العهد (خ) .

٦ ــ كتاب البر والإثم (خ) .[1]

****

هـ : في التفسير :

١ ــ تفسير سورة النور (خ) .

٢ ــ تفسير سورة الأعلى (خ) .

٣ ــ تفسير سورتي المعوذتين (خ)[2]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق

و : القصص الفلسفي :

١ ــ حي بن يقظان (ط) .

٢ ــ سلامان وأبسال (ط) .

٣ ــ رسالة الطير (ط) .

****

ز : الشعــر :

١ــ القصيدة العينيّة في النفس (ط) . [1]

٢ ــ ارجوزة في المنطق (ط) .

٣ ــ ارجوزة في تدبير الطفل قبل الولادة وبعدها (ط) .

****

ح : في اللغة :

١ ــ لسان العرب (عشر مجلدات) (خ) .

٢ ــ أسباب حدوث الحروف (خ) [2]

---

(١) انظرها بتمامها في ثنايا هذا الكتاب ص (٨٤) .

(٢) هدية العارفين ١ / ٣٠٨ .

قلت : وقد أفادنا الأستاذ (مشهور بن حسن آل سلمان) بارك الله في علمه ونفع به ــ إلى مجموعة من رسائل ابن سينا ، مثل :

ــ الحدود في الإسلام ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد ٤٨ــ١٩٧٣م) ، (ص ٥٧٢ــ٥٧٩)

ــ رسائل ابن سينا إلى أبي الريحان البيروني ــ مجلة التاريخ لكلية الآداب ، انقرة (١٩٧٤م) (ص ٢٢١ــ٣٠١)

ــ الرسالة النيروزية ــ نوادر المخطوطات ٢/٢٧ــ٤٣ (سنة ١٢٩٨هـ)

ــ في الشعر ... في كتاب (أرسطو طاليس) عبدالرحمن بدوي ــ القاهرة ، سنة (١٩٥٣م)

ــ ارجوزة في أسباب الحميات ــ مجلة المورد (المجلد ١٤ ، العدد ٤) (ص ٢٤٣ ــ ٢٦٦) سنة ١٤١٠هـ)

انظر الإشارات (الفهرس العام)

وفي كتاب (عيون الأنباء) (ص ٤٤٠) أسماء بعض الرسائل التي لم أذكرها ، ومنها رسالة بعنوان (علم زيد غير علم عمرو) فراجعه إن شئت .

المبحث الثالث

﴿ نقد عقيدة ابن سينا في أنواع التوحيد الثلاثة ﴾

أ ـ نقد عقيدته في توحيد الربوبية :

توحيد الربوبية هو : إفراد الله تعالى بالخلق ، والملك ، والتدبير . قال الله تعـالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ﴾ (فاطر:٣) وقال تعالى : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شـيء وهـو يجـير ولا يُجـار عليـه﴾ (المؤمنون :٨٨) وقال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ (الأعراف :٥٤) .

وقد كان المشركون الذين قاتلهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستباح دمـاءهم وأموالهم ونساءهم وذريتهم ، كانوا يقرون بهذا التوحيد : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ (الزخرف : ٩)

لكن هذا لم ينفعهم ، لأنهم مشركون في توحيد الألوهية .

١ ــ إذا تأمّلنا في مصنفات ابن سينا ودقّقنا النظر في اعتقاده بهذا النوع من التوحيد تبيّن لنا أنه لا يقيم وزنا لتوحيد الربوبية لأنه يعتقد بوجود متصرّف مع الله عـز وجل في تدبير الكون وفي الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وجلب الخير ودفع الشر ، ــ سبحانه وتعالى عن ذلك ــ .

ويكفي لاثبات ذلك أن ابن سينا يعتقد ما يعتقده الفلاسفة الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط ، وأن مصدر المخلوقات كلـها : العقـول والنفـوس ، وأن مصدر هذا العقل الفعال هو رب كل ما تحته ومدبره . وهذا يتضمن من التعطيل وجحد الألوهية والربوبية نسبة الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى [١] !!

وسبق أن أشرنا في اول هذه الرسالة أن (الإسماعيلية) التي ثبت بالدليل إنتساب ابن سينا لها تزعم أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لم يخلق الخلق ، وأن الذي يرزقهم ويدبر شؤونهم هو (العقل الأول) [٢] .

---

(١) شرح الطحاوية للحنفي ، ٢٠ ــ ٢٢ ، والجواب الكافي لابن القيم ص (٥)

(٢) يأتي ذكر معناه في آخر الكتاب .

وزعموا ــ قبّحهم الله ــ أن العقل هو مـنزل الوحـي علـى الأنبيـاء . وعليـه فهم يزعمون أن الوحي ما قبلته نفس الرسول من العقل ، وقبلـه العقـل مـن أمر باريه .[١]

ولا شك أن تأويلاتهم للجنة والنار والعقاب والعذاب وكافة أصول الشـريعة كفيلـة بنسف توحيد الربوبية لأن الدين حينئذ أصبح تبعاً لأهوائهم ونزعاتهم ورغباتـهم ، فلا قيمة له في قلب العبد .

والفلاسفة قال بعضهم : إن الله ــ تعالى ــ جوهر ، وقال بعضهم : بلا هو علـة لكل شيء . فاثبتوا الشيء معلولاً .. ومنهم من سماه طبيعة ، وقال آخرون : بـل نفساً ، وذهب بعضهم إلى أنه ظلمة ، وآخرون إلى أنه نور وظلمة ، والكل علـى خطأ ، لأنه ليس كمثله شيء ، والسبب الذي ألجأهم إلى القول بما قالوه ، أنـهم وضعوا لمذاهبهم قوانين ومقدمات ، وشرحوا على افعال العالم الطبيعي وقـوّوه ، وتعمّقوا فيما لم يجدوا له أصلاً ــ واصّلوا شيئاً لم يجدوا له فرعاً ، والذي افسدوه أكثر مما أصلحوه ، لأنهم شرحوا عن أفعال العالم الطبيعي ، ونظروا استحالاته ، فلم يصلح عندهم له كون ولا صانع ، ولا يثبت عندهم للبـاري سـبحانه أينيـة موجودة على الإطلاق ، فعادوا يقولون بالظن والحسـاب إن كـان هـذا العـالم مصنوعاً فإن صانعه لم يسبقه ، ولم يتأخر كون العالم عن وجود موجـده ، بـل العالم وإن كان مصنوعاً ، فإنه من الصانع كالإسخان من النار ، والضـوء مـن الضوء ، ولم يبالوا اصح لهم التوحيد أم لم يصح ، مع إقرارهم أن العالم مصنوع قديم ، وهذا تعطيل ظاهر ... وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى عظيم من عظماء المشركين رسولاً يدعوه إلـى الله تعالى ، فلما بلغه ذلك وأعلمه ، قال : أخبرني عن إلهك هذا أهو من فضـة أم من ذهب أم من نحاس ؟

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص (١٥)

فاستعظم ذلك الرسول ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بذلك وأعلمه بمقالته ، فقال له : ارجع إليه وأدعه ، فوجده قد أصابته صاعقة ، فعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزل : ﴿ وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ (الرعد ١٣)[١] .

قلت : وهذا بعينه كلام ابن سينا في سائر كتبه ومؤلفاته ، يعتقد ما أعتقده الفلاسفة الملاحدة أتباع أرسطو الملحد الذي كان يقول : إن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك ، وأن في كل كوكب عوالم كما في هذه الأرض ، وأنهاراً وأشجاراً وأنكر الصانع وقال بقدم العالم [٢] .

قال شيخ الإسلام ــ رحمه الله تعالى ــ : (وهؤلاء ــ أي الجهمية ــ كالمعطلة الدهرية الطبائعية من فلاسفة اليونان ونحوهم الذين ينكرون ما سوى هذا الوجود الذي يشاهده الناس ويحسونه ، وهو وجود الأفلاك وما فيها .

وهؤلاء الذين ذكر ابن سينا قولهم في (اشاراته) حيث قال : (قال قوم : إن هذا الشيء المحسوس موجود لذاته واجب لنفسه ، لكنك إذا تذكّرت ما قيل في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجباً [٣] !!!

وهذا هو القول الذي أظهره فرعون ، وإليه يعود عند التحقيق قول أهل الوحدة . لكن هؤلاء يعتقدون أنهم يثبتون الخالق ، وإن وجوده وجود المخلوق ، فهم متناقضون .

ثم إن (جهم بن صفوان) ردّ عليهم كرد أرسطو وابن سينا وأمثالهم من المشّائين على الطبيعيّن منهم ، وهؤلاء يثبتون وجوداً عقلياً غير الوجود المحسوس ، ويعتقدون أنهم بهذا الرد أبطلوا قول أولئك ، كما تقدم حكاية قول ابن سينا لما تكلم على الوجود وعلله وقال : (قد يغلب على أوهام الناس أن الوجود هو

(١) فتاوى ابن تيمية ١١ / ٤٣٠ .
(٢) تلبيس إبليس ص (٤٧) .
(٣) درء التعارض ٥/١٦٨ .

المحسوس) وأبطل هذا القول بإثبات الكليات ، وقد تقدّم التنبيه على فساد هذه الحجّة ، وأن الكليات تكون في الأذهان لا في الأعيان " [١] .

وقال ــ رحمه الله ــ : " ولهذا كان الذين اتبعوا هؤلاء من المتأخرين ، كالرازي والآمدي ــ وغيرهم ، قد يتبين لهم ضعف هذا الأصل الذي بنوا عليه حدوث الأجسام ، ويترجح عندهم حجة من يقول بدوام فاعلية الباري تعالى ،

وهم يعلمون أن دين المسلمين واليهود والنصارى : أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وأن الله خالق كل شيء ، لكن قد لا يجمعون بين ذلك وبين دوام فاعلية الباري ، لكنهم لم يبتوا على ثبوت الأفعال القائمة به المقدورة المراد لها ، فيبقون دائرين بين مذهب الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم الأفلاك ، معظمين لأرسطو واتباعه كابن سينا ، وبين مذهب أهل الكلام القائلين بتناهي الحدوث ، وربما رجّحوا هذا تارة وهذا تارة ، حتى قد يصير الأمر عندهم كأن دين المسلمين ودين الملاحدة عدلاً جهل ، أو ربما مالوا أحياناً إلى دين الملاحدة ، حتى قد يصنّفون في الشرك والسحر ، كعبادة الكواكب والأصنام " [٢] .

قلت : لا بُد أن نقر بأنه لا يوجد طائفة بعينها قالت بوجود خالقين متكافئين . فإن الفلاسفة الدهرية الذين يقولون بأن حركة الأفلاك أو حركات النفوس تحدث مخلوقات ، هم مقرون بأن الخالقين مع تعددهم ليسوا في رتبة واحدة من حيث الصفات والأفعال ، والفلاسفة يرون أن هذه الأفلاك وما شابهها مخلوقة لخالق واحد وأنها ليست غنية عنه ، فيكون هذا الخالق خالقاً لما ينتج عنها .

ولا يعني هذا أننا ندافع عن الفلاسفة ، بل المقصود ذكر الحق والعدل مع الخصم والاعتراف بأن له حجة وافقت بعض الصواب . وفي الوقت ذاته لا يتم الإقرار بكمال توحيد الربوبية ما دام العبد يعترف بوجود خالقين مع أن التصرف والتدبير لأحدهما ، فتأمّل (وشرك هؤلاء المتفلسفة وتعطيلهم أعظم بكثير من شرك القدرية

(١) الإشارات والتنبيهات لابن سينا ٤ / ٥٣١ ــ ٥٣٢ ، ودرء التعارض ٥ /١٦٨ .
(٢) فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٢٣٠ .

وتعطيلهم ، فإن هؤلاء يجعلون الفلك هو المحدث للحوادث التي في الأرض كلها ، فلم يجعلوا لله شيئاً أحدثه ، بخلاف القدرية ، فإنهم أخرجوا عن إحداثه أفعال الحيوان وما تولد عنها ، فقد لزمهم التعطيل من إثبات حوادث بلا محدث ، وتعطيل الرب عن إحداث شيء من الحوادث ، وإثبات شريك فعل جميع الحوادث .. فتبين أنهم في الحقيقة لا يثبتون للرب فعلاً أصلاً ، فهم معطلة حقاً . وأرسطو وأتباعه إنما اثبتوا العلة الأولى من جهة كونها علة غائية كحركة الفلك ، فإن حركة الفلك عندهم بالاختيار كحركة الإنسان ، والحركة الاختيارية لا بد لها من مراد ، فيكون هو مطلوبها ، ومعنى ذلك عندهم أن الفلك يتحرك للتشبه بالعلة الأولى ، كحركة المؤتمّ بإمامه ، والمقتدى بقدوته ، وهذا معنى تشبيهه بحركة المعشوق للعاشق ، ليس المعنى أن ذات الله محركة للفلك ، إنما مرادهم أن مراد الفلك أن يكون مثله بحسب الإمكان ، وهذا باطل من وجوه " فقالوا " إن العلة الأولى وهي التي يتحرك الفلك لأجلها علة له تحركه ، كما تحرك العاشق للمعشوق ، بمنزلة الرجل الذي اشتهى طعاماً فمدّ يده إليه ، أو رأى من يحبه فسعى إليه ، فذاك المحبوب هو المحرك ، لكون المتحرك أحبه ، لا لكونه أبدع الحركة ولا فعلها . وحينئذ فلا يكون قد أثبتوا لحركة الفلك محدثاً أحدثها غير الفلك ، كما لم تثبت القدرية لأفعال الحيوان محدثاً أحدثها غير الحيوان . ولهذا كان الفلك عندهم حيواناً كبيراً ، بل يقولون : إن الفلك يتحرك للتشبه بالعلة الأولى ، لأن العلة الأولى معبودة له محبوبة له ، ولهذا قالوا : إن الفلسفة هي التشبه بالإله على حسب الطاقة . ففي الحقيقة ليس عندهم الرب : لا إلها للعالم ، ولا رباً للعالمين ، بل غاية ما يثبتونه أنه يكون شرطاً في وجود العالم ،

وأن كمال المخلوق في أن يكون متشبهاً به ، فهذا هو الألوهية عندهم ، وذلك هو الربوبية . ولهذا كان قولهم شراً من قول اليهود والنصارى ، وهم أبعد عن المعقول والمنقول منهم ... وحقيقة قول القوم الجحود لكون الله رب العالمين ، بل غايتهم أن يجعلوه شرطاً في وجود العالم ، وفي التحقيق هم معطّلة لكون الله رب العالمين ، كقول من قال : إن الفلك واجب الوجود بنفسه منهم ... وإذا قدر أن الفلك يتحرك باختياره ، من غير أن يكون الله خالقاً لحركته ، فلا دليل على أن المحرك له علة معشوقة يتشبه بها ، بل يجوز أن يكون المتحرك هو المحرك ..... وهذا التوحيد كان يقر به المشركون ، الذي قال الله عنهم : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (لقمان:٢٥)

وقال تعالى : ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله﴾ (المؤمنون : ٨٦ ــ ٨٧) . وقال عنهم : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (يوسف : ١٠٦) .

قال طائفة من السلف : يقول لهم : من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره " .[١]

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف ١٠٦)

(١) منهاج السنة النبوية ٣/٢٨٩ .

٢ ــ قال ابن سينا بإثبات (قدم العالم) وهذا بلا شك خلاف مذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن العالم حادث . وإذا ثبت هذا الاعتقاد عن ابن سينا فيكون قد أبطل توحيد الربوبية لعدة اعتبارات :

أ) تضمّن القول بقدم العالم تعطيلاً للرب ــ سبحانه وتعالى ــ وإنكاراً للخالق عز وجل .

يقول ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : (وهؤلاء الفلاسفة يتضمن قولهم في الحقيقة أنه لم يخلق ، فإن ما يثبتونه من الخلق إنما يتضمن التعطيل ، فإنه على قولهم لم يزل الفلك مقارناً له أزلاً وابداً ، فامتنع حينئذ أن يكون مفعولاً له ، فإن الفاعل لا بُد أن يتقدم على فعله)[1] .

ب) أن القول بقدم العالم ، وصدور هذا العالم عن الخالق تعالى صدور المعلول عن العلة لهو من أشنع التنقص والشتم لله ــ سبحانه وتعالى ــ حيث ادّعى أصحاب تلك المقالة تولّد هذا العالم عن الرب عز وجل ، فخرقوا له بنين وبنات بغير علم (وقولهم إن النفوس والعقول معلولة له ، ومتولدة عنه أعظم كفراً من قول من قال من مشركي العرب : إن الملائكة بنات الله)[2] .

يقول ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ قوله تعالى ﴿ خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ (السجدة : ٤): يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل ، وأن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غير مخلوق ، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعها من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة السلام ــ والكتب شهدت به العقول والفطر[3] .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/٢٢٩ .

(٢) الصفدية ١ /٨ .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ٩٥ .

ج) القول بقدم العالم تردّه العقول بداهة ، وتأباه الفطر السليمة والنفوس الصحيحة . فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء))* .

يقول الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ : " وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث ، وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن ، لا عن عجزه عن ذلك بل مع القدرة "[1] .

ورحم الله الفضيل بن عياض إذ يقول : " وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم ، أو بقائه ، أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية "[2] .

ويقول مُلا علي قارئ ــ رحمه الله تعالى ــ : " فمن واظب طول عمره على الطاعات والعبادات مع اعتقاد قدم العالم لا يكون من أهل القبلة "[3]

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه ــ رحمه الله تعالى ــ : " والمشهور عن القائلين بقدم العالم أنه لا صانع له ، فينكرون الصانع ــ جل جلاله ــ . وقد ذكر أهل المقالات أن أول من قال من الفلاسفة بقدم العالم "ارسطو " صاحب التعاليم الفلسفية : المنطقي ، والطبيعي ، والإلهي . وارسطوا وأصحابه القدماء يثبتون في كتبهم العلة الأولى ، ويقولون : إن الفلك يتحرك للتشبه بها ، فهي علة له بهذا الاعتبار ، إذ لولا وجود من تشبه به الفلك لم يتحرك ، وحركته من لوازم وجوده ، فلو بطلت حركته لفسد ، ولم يقل أرسطو : إن العلة الأولى أبدعت الأفلاك ، ولا قال هو موجب بذاته ، كما يقوله من يقول من متأخري الفلاسفة كابن سينا وأمثاله ، ولا قال : إن الفلك قديم وهو ممكن بذاته ، بل كان عندهم ما عند سائر العقلاء أن الممكن هو الذي يمكن وجوده وعدمه ، ولا يكون كذلك إلا ما كان محدثاً ، والفلك عندهم ليس بممكن بل هو قديم لم يزل وحقيقة قولهم إنه واجب لم يزل ولا يزال ،

---

* أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب رقم (٣١٩١) . وأحمد في مسنده (٤/٤٣١) والترمذي في كتاب المناقب رقم (٣٩٥١) وانظر : مجموع الفتاوى ٦/٥٥١ ، و١٨/ ٢١٦ .

(١) فتح الباري ٦/٢٩٠ .

(٢) الشفا ٢ / ٦٠٤ ــ ٦٠٦ .

(٣) شرح الفقه الأكبر ٢٣٠ .

فلهذا لا يوجد في عامّة كتب الكلام المتقدمة القول بقدم العالم ، إلا عمن ينكر الصانع . فلما أظهر من أظهر من الفلاسفة كابن سينا وأمثاله أن العالم قديم عن علة موجبة بالذات قديمة ، صار هذا قولاً آخر للقائلين بقدم العالم ، أزالوا به ما كان يظهر من شناعة قولهم من إنكار صانع العالم ، وصاروا أيضاً يطلقون ألفاظ المسلمين من أنه مصنوع ومحدث ونحو ذلك . ولكن مرادهم بذلك أنه معلول قديم أزلي ، لا يريدون بذلك أن الله أحدث شيئاً بعد أن لم يكن ، وإذا قالوا : إن الله خالق كل شيء ، فهذا معناه عندهم ، فصار المتأخرون من المتكلمين يذكرون هذا القول ، والقول المعروف عن أهل الكلام في معنى حدوث العالم الذي يحكونه عن أهل الملل كما تقدم ، كما يذكر ذلك الشهرستاني والرازي والآمدي وغيرهم "[1]

وقال ــ رحمه الله ــ : " الوجه الثالث عشر ــ إن الغلط في معنى هذا الحديث (كان الله ولم يكن شيء قبله) هو من عدم المعرفة بنصوص الكتاب والسنة ، بل والمعقول الصريح ، فإنه أوقع كثيراً من النظّار واتباعهم في الحيرة والضلال ، فإنهم لم يعرفوا إلا قولين : قول الدهرية القائلين بالقدم ، وقول الجهمية القائلين بأنه لم يزل معطّلاً عن أن يفعل أو يتكلم بقدرته ومشيئته . ورأوا لوازم كل قول تقتضي فساده وتناقضه ، فبقوا حائرين مرتابين جاهلين ، وهذه حال من لا يحصى منهم ، ومنهم من صرح بذلك عن نفسه كما صرح به الرازي وغيره ، ومن أعظم ذلك أنهم نظروا في حقيقة قول الفلاسفة فوجدوا أنه لم يزل المفعول المعين مقارناً للفاعل أزلاً وأبداً ، وصريح العقل يقتضي بأنه لا بُد أن يتقدم الفاعل على فعله ، وأن تقدير مفعول الفاعل مع تقدير أنه لم يزل مقارناً له لم يتقدم الفاعل عليه ، بل هو معه أزلاً وابداً : أمر يناقض صريح العقل .وقد استقر في الفطر أن كون الشيء المفعول مخلوقاً يقتضي أنه كان بعد أن لم يكن،ولهذا كان ما

(١) مجموع الفتاوى ٥ / ٥٣٩ .

أخبر الله به في كتابه من أنه خلق السموات والأرض مما يفهم جميع الخلائق أنهما حدثتا بعد أن لم تكونا ، وأما تقدير كونهما لم يزالا معه مع كونها مخلوقين له فهذا تنكره الفطر ، ولم يقله إلا شرذمة قليلة من الدهرية كابن سينا وأمثاله " [1] .

قلت : مما تقدم يتأكد لكل منصف أن ابن سينا قد هدم توحيد الربوبية من جملة اعتقاده ، فما نصيب القسمين الآخرين ، هل أثبتهما أم نفاهما ؟ .

****

ب ــ نقد عقيدته في توحيد الألوهية :

توحيد الألوهية : هو إفراد الله ــ سبحانه وتعالى ــ بالعبادة ، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه ، ومن أخلّ بهذا التوحيد فهو مشرك كافر . وإن أقر بتوحيد الربوبية ، وبتوحيد الأسماء والصفات .

قال الله تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل : ٣٦)

وثبت عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً))* .

والشرك في الألوهية على قسمين :

١ ــ شرك التعطيل مثل شرك فرعون المتضمّن إنكار الخالق .

٢ــ شرك التمثيل مثل شرك اليهود والنصارى ، بدعوة (عزير) ابناً لله ، و(المسيح) ابناً لله ، وطاعتهم الرهبان في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله .

وشرك التعطيل ثلاثة أنواع :

١ ــ تعطيل المصنوع عن صناعته كقول المجوس بأن النور إله . وإنه خالق الخير.

٢ ــ تعطيل الله عن كماله المقدس ، إما بنفي صفاته أو إثباتها على وجه التمثيل .

(١) مجموع الفتاوى ١٨/٢٢٥ وأنصح بمراجعته للوقوف على فوائده النفيسة .

* متفق عليه .

٣ ــ تعطيل الله عن عبادته وذلك بعبادة غيره معه [١] .

وعلى ضوء ما سبق سنناقش ابن سينا في مسألتين لهما صلة بتوحيد الألوهية ، وهما :

١ ــ حقيقة التوحيد [٢].أ

٢ ــ نظرية الفيض .

١ ــ حقيقة التوحيد (عند ابن سينا):-

ذكرنا في مبدأ هذه الرسالة أن الإسماعيلية ــ وابن سينا من أشهر أقطابها ــ ذهبت إلى النفي المطلق لصفات الله ــ سبحانه وتعالى ــ وإنكار أية صفة له ــ سبحانه ــ من التي وصف بها نفسه ، لأنه ــ تعالى ــ كما يزعمون ــ فوق متناول العقل ، والعقل عاجز عن إدراك كنهه ، فنفي الصفات عن الله اعتقاد أساس في التوحيد عند الإسماعيلية ، لأن اثباتها ــ حسب زعمهم ــ يعني عدم التوحيد ، ولهذا نرى الحامدي* ينفي جميع الصفات الإلهية عن الله سبحانه : " فلا يقال عليه حي ، ولا قادر ، ولا عالم ، ولا عاقل ، ولا كامل ، ولا تامّ ، ولا فاعل ، لأنه مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل ، ولا يقال له ذات لأن كل ذات حامله للصفات .. " [٣] .

---

(١) الجواب الكافي ص ١١٤ ــ ١١٥ ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص (٣٠) ، وتجريد التوحيد ص ١٧ ــ ١٨ .

(٢) ومن طامات ابن سينا أنه ينصح من يذهب إلى القبور لزيارتها بأن يتوجه الزائر بروحه إلى الميت ، ويعكف بجمعه عليه ويوجه قصده وإقباله عليه ، بحيث يبقى فيه التفات إلى غيره ، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم ، كان أقرب إلى انتفاعه به ..

قلت : إن لم يكن هذا شرك في الألوهية ، فما في الدنيا ــ والله ــ شرك .

أنظر الجواهر المضية ٢ / ٦٣ ــ ٦٤ ، وجمهرة الحنفية ٣/١٢٩٤ ،

وابن سينا بين الدين والفلسفة (ص١٣٨)

* الحامدي : إبراهيم بن الحسين (... ــ ٥٥٧هـ) من دعاة الإسماعيلية وعلمائهم باليمن ، ومن أشهر مؤلفاته (كنز الولد) و (الرسائل الشريفة) .

(٣) كنز الولد لإبراهيم الحامدي ١٣ ــ ١٤

والإسماعيليون يزعمون أن جميع الأسماء والصفات الإلهية ، إنما تليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ، ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية . فأسماء الله الحسنى ما هي إلا إشارة إلى حدوده الروحانية العلوية والجسمانية السفليه ، ويؤولون قول الله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) بأن :المقصود بالأسماء هم الحدود أي تطلبون الوصول إلى توحيد الله من جهتهم . ذلك أن الإسماعيلية تزعم أن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً ، وإنما أبدع الله تعالى (الكاف) واخترع (النون) ، وأن من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي والعالم السفلي[١]

فتوحيد الله الصحيح عندهم ــ كما يزعمون ــ : هو معرفة حدوده ، وسلب الإلهية عنه له تجريده ، وسلب الأسماء والصفات عنه له تنزيهه ، لأن الإثبات الحقيقي لهذه الصفات والأسماء على الله يعني شركة بينه وبين سائر الموجودات . وعليه فإن معرفة الله عند الإسماعيلية تقوم على اعتبارين :

الأول : تجريد الله وتنزيهه عن أسمائه وصفاته .

الثاني : أن توحيده يعني معرفة حدوده [٢] .

والإسماعيلية بعد أن تجرّد الله عز وجل من جميع أسمائه وصفاته ، تحولها إلى مبدع أبدعه الله تعالى ــ وهو كما يزعمون ــ : (العقل الأوّل) ويصف الكرماني* هذا المبدع بقوله : " إذا كان الله عُرياً عن كل صفة ، فإن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه ، فهو ــ أي المبدع ــ الحق والحقيقة ، وهو الوجود الأول ، وهو الوحدة ، وهو الواحد ، وهو الأزل ، وهو الأزلي ، وهو العقل الأول ، وهو المعقول الأول ، وهو العلم ، وهو العالم الأول ، وهو القدرة ، وهو القادر الأول ، وهو الحياة ، وهو الحي الأول) أهـ .

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ٨٥ ــ ٨٦ .

(٢) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام للعلوي ص(١٢) .

* الكرماني : أحمد بن عبدالله (٣٥٢ــ٤١٢هـ) من دعاة الإسماعيلية ، من أشهر مؤلفاته : (راحة العقل) و (مجموعة الرسائل) توفي بإيران .

فالواحد – كما يزعمون – أبدع بأمر من مشيئته أول (سابق) فهو إذن العقل الأول والحجاب المفضّل ، وظهر عنه التالي مخترعاً من نوره ، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما ، فالفيض الأول هو اصل الإيجاد ، وهو المبدأ وإليه المعاد [1] .

ويزعمون أن الله – سبحانه وتعالى – خاطب العقل بعد خلقه بقوله : أنت فتقي ورتقي ، والمشرف مني على خلقي ، بك آخذ حقي ، وبك أنجز وعدي ، فوعزتي وجلالي ، لا أصل من يجحدك ، ولا يعرفني من أنكرك ، فأنت مني بلا تبعيض ، وأنا فيك بلا حلول ، وفي منتهى العقول[2] .

ولا شك أن العقل الأول أو السابق – عند الإسماعيلية – محلّ لجميع الصفات والأسماء الإلهية ، فهو عندهم الإله ممثلاً في مظاهره الخارجية ، ولما كانت الصلاة لا يمكن أن تؤدّى لكائن لا يدرك ، فهي تؤدّى في رأيهم لمظهره الخارجي ، أي العقل الذي اصبح بذلك الإله الحقيقي عندهم ، وبما أنه ليس في مقدور الإنسان أن يصل إلى معرفة ذات الله ، وإنما يعرف العقل وحده ، لهذا يسمي الإسماعيلية العقل : الحجاب أو المحل ، أو الصلة والعقل الأول أو المبدع الأول هو الذي رمز إليه تعالى بـ (القلم) في الآية الكريمة : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ (القلم : ١) وعلى هذا فالقلم هو الخالق المصوّر ، وهو الذي ابدع النفس الكلية التي رمز إليها القرآن بـ (اللوح المحفوظ) ، ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي ، إلا أن العقل كان أسبق إلى توحيد الله وأفضل فسمي بـ (السابق) وسميت النفس بـ(التالي) ، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية ، من جماد وحيوان ونبات وإنسان ، وما في السموات من نجوم وكواكب [3] .

---

(١) راحة العقل للكرمان ١٨٩ .

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ٨٧ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ٣٨١

فالخالق عند الإسماعيلية إذن هو العقل الكلي والنفس الكلية ، وإذا ذُكر الله عندهم فالمقصود هو العقل الكلي . ومما يُذكر أن نظرية المثل والممثول التي تقول بها الإسماعيلية تقوم على أن الحدود الروحانية العلوية ، يوجد لها ممثول في الصور الجسمانية السفلية ، وهذه النظرية نظرية فلسفية قديمة ذكرها أفلاطون في كتبه ، وإذا طبقنا نظرية المثل والممثول على حدود الإسماعيلية ، يكون في العالم الأرضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف وتسمي بأسمائها ، لأن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الأسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة : خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية ، فالحدود الجسمانية النبي ، الوحي ، الإمام ، الحجة ، الداعي ، يقابل كلاً منهم في العالم العلوي : السابق ، التالي ، الجد ، الفتح ، الخيال . وقد استندوا في ذلك إلى تأويل قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما شاء ﴾ (الشورى : ٥١) . فزعموا أن المقصود بـ (الوحي) هنا هو رتبة (الجد) ، وأما (الحجاب) فهو رتبة (الفتح) و(يرسل رسولاً) رتبة (الخيال)[1] .

لقد قام دعاة الإسماعيلية بالتوفيق بين الصليب (شعار النصرانية) ، وبين الشهادة (شعار الإسلام[2]) . ليصلوا بنفس الوقت إلى التوفيق بينهم وبين الحدود العلوية الإسماعيلية .

وقد صرح بذلك السجستاني[3] (٣٣١ هـ) قائلاً :

" إن الشهادة مبنية على النفي والاثبات ، فالابتداء بالنفي والانتهاء إلى الإثبات ، وكذلك الصليب خشبتان : خشبه ثابته لذاتها ، وخشبه أخرى ليس لها ثبات إلاّ بثبات الأخرى . والشهادة أربع كلمات ، كذلك الصليب له أربع أطراف ،

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ٨٨–٨٩ بتصرف يسير .

(٢) وهؤلاء الإسماعيلية لهم أتباع اليوم يدعون بضرورة التقريب بين الديانات الثلاث ، وبناء مسجد وكنيسة وصومعة في فناء واحد .

(٣) السجستاني : إسحاق بن أحمد : من علماء الإسماعيلية ودعاتهم ، غالي . له مؤلفات منها : (الينابيع) قُتل في (تركستان) .

فالطرف الأول الذي هو ثابت في الأرض ، منزلته منزلة صاحب التأويل الذي تستقر عليه نفوس المرتادين ، فالطرف الذي يقابله علواً في الجو ، منزلته منزلة صاحب التأييد الذي عليه تستقر نفوس المؤيّدين ، والطرفان اللذان في الوسط يمنة ويسرة دليل على التالي والناطق ، اللذين أحدهما صاحب التركيب والآخر صاحب التأليف ، أحدهما مقابل الآخر ، والطرف القائم دليل على السابق الممدّ لجميع الحروف ، والشهادة سبعة فصول ، كذلك الصليب أربع زوايا وثلاث نهايات ، وللزوايا الأربع والنهايات الثلاث دليل على الأئمة السبعة في أدوارهم ، كما دلّت النصوص السبعة في الشهادة على أئمة دور ناطقنا عليه السلام ــ وكل طرف منها له ثلاثة أطراف ، تكون الجملة أثني عشر ، كذلك الشهادة اثنا عشر حرفاً .. وكما أن الشهادة إنما تكمل عند اقترانها بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كذلك الصليب إنما شرف بعد أن وجد عليه صاحب ذلك الدور " [١] .

قلت : اشهد أن لا إله إلا الله ، واشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم أحينا عليها ، وأمتنا عليها ، وابعثنا عليها ، واجعلنا من أهلها إلى أن نلقاك ــ يا الله ــ وأنت راض عنا ــ

يقول ابو حامد الغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ : " أما القول بإلهين فكفر صريح لا يتوقف فيه ، لأنهم عرفوا أننا نعتقد أن للعالم صانعاً واحداً قادراً عالماً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً حياً ، ليس كمثله شيء ، فمن رآها كفراً فهو كافر لا محالة [٢] " .

مما سبق بيانه يدرك القارئ إدراكاً جازماً حقيقة التوحيد عند ابن سينا الذي رضع وشبع من لبان الإسماعيلية الملاحدة المتلاعبين بالشريعة الإسلامية ، الذين يسخرون من العالم والخلق والجزاء ، ويصورون الرسل ــ عليهم الصلاة السلام ــ وفق أهوائهم ونزواتهم .

(١) الينابيع للسجستاني ١٤٨ ــ ١٤٩ .

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص(١٥١) .

وإنما سُقت تلك النصوص الطويلة عن الإسماعيلية لأن القارئ العادي لو قرأ في مؤلّفات ابن سينا لظن بها خيراً ، وما رأى بها بأساً ، ولربما أعتقد ما فيها جهلاً بسُمومها وآفاتها ، لكن لو عرف حقيقة الأمر لأدرك التفاوت .

فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح [١]

٢ ــ نظرية الفيض : [٢]

قال ابن سينا بضرورة الأخذ بنظرية الفيض للتدليل على آرائه في الألوهية ، وتبع ابن سينا جماعة أخوان الصفا الذين عمدوا على تلفيق عدة نظريات فلسفية في محاولتهم إظهار صحة معتقدهم في الألوهية . فأخذوا بنظرية الفيض عند أفلاطون ومزجوها بفلسفة (فيثاغورس) في الأعداد ، وبفلسفة الفلاسفة الطبيعيين من القول بالعناصر الأربعة ، بالإضافة إلى فلسفة أرسطو القائلة بالهيولى والصورة .

ونظرية الفيض ترجع إلى الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وأول من قال بها أفلوطين مؤسّس هذه المدرسة ، وهي النظرية التي تقول بها الإسماعيلية عند حديثها عن الألوهية ومراتب الوجود .

وقد لخّص الإسماعيلية نظرية الفيض بقولهم : " إن الله لما كان تامّ الوجود كامل الفضائل عالماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها .

(١) القائل : سعد بن محمد بن سعد (الحيص بيص) شاعر ، يلقب بأبي الفوارس ، توفي (٥٧٤هـ) وقد ذكر ابن خلكان له قصة عجيبة أنظرها في : وفيات الأعيان ٢/٣٦٤ــ٣٦٥ .

(٢) نظرية الفيض عند أفلاطون تقوم على أن إحداث الأشياء ما هو في الحقيقة إلا انتشار ما في العلة الأولى من القدرة على التعقل والتأثير ، مع بقاء ذاتها على ما كانت عليه من السكون والكمال المتعالي عن كل نوع من التغير والحركة ، فإذا قيل : وما الباعث الذي حمل تلك العلة على إحداث العالم ؟ فالجواب : لم تكن محتاجة إلى العالم ، بل كان ذلك لما فيها من الجود ، وإفراط القدرة .
أنظر : الوحدة الإلهي ص (١٦٣) .
وأنظر القاموس في آخر هذه الرسالة .

فإذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ، ودام ذلك الفيض منه متصلاً متواتراً غير منقطع فيسمى أول ذلك الفيض(العقل الفعال) وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية ذلك الفيض العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية التمام والكمال والفضائل ، وفيه صور جميع الأشياء ، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات ، وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل ، وهي (النفس الكلية) ، وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام . وفاض من النفس أيضاً فيض آخر دونها في الرتبة يُسمى (الهيولى الأولى)، وهي جوهرة بسيطة روحانية قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء [1] " .

وكما تزعم الإسماعيلية أن الفيض الذي يؤمنون به يختلف عن الإبداع الذي تقول به الفلاسفة ، كذلك يزعم أخوان الصفا بهذا الاختلاف ، " فهم يرون أن كل موجود تام فإنه يفيض منه على ما دونه فيض ما وأن ذلك الفيض هو من جوهره ، يعني صورته المقومة التي هي ذاته ، أما الإبداع فهو يعني أن الأمور أبدعت وأخرجت من العدم إلى الوجود ، وخاصة الأمور الروحانية الإلهية التي هي العقول "[2] .

وعندما يمزج أخوان الصفا بين نظرية الفيض الأفلاطونية ونظرية العدد الفيثاغورية في أن الواحد أصل الوجود يقولون : إن الباري أول ما أبدع من (نور وحدانيته) جوهراً بسيطاً يقال له (العقل الفعال) كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ، وأنشأ (النفس الكلية الفلكية) من (نور العقل) والهيولى الأول من(حركة النفس) ، وأنشأ أخيراً سائر المخلوقات في العالم من الهيولى بتوسط العقل والنفس ، كما أنشأ سائر الأعداد من الأربعة بإضافة ما قبلها إليها ،

(١) رسائل أخوان الصفا ٣/١٩٧ــ١٩٨ .
(٢) أخوان الصفا / مصطفى غالب .

وبهذا الاعتبار يصح القول عن الباري أنه المبدأ الأول للأشياء جميعها ــ تماماً كما يعتبر الواحد المبدأ الأول للأعداد جميعها[1] .

ونظرية الفيض تهدم العقيدة الإسلامية في الإله وقدرته ، فهم وإن قالوا بأن الله علة العالم ، لكنهم قرروا أنه لا يستطيع خلقه ، وأن العالم صدر عنه كما يصدر الضوء عن الشمس ، فهو لازم له لا يستطيع حبسه ومنعه ، وهذا القول ينفي القدرة الإلهية كما يفهمها المسلمون وينفي الإرادة الإلهية كما يقول بها الإسلام ، ويصف الله ــ سبحانه وتعالى ــ بأنه لا حيلة له في خلق العالم ، ولا شأن له به ، ولا رأي له فيه [2] " .

لقد جمع ابن سينا في نظرية الفيض ما قاله (بطليموس) في علم الفلك ، إلى ما قاله (ارسطو) في العقول المفارقة ، إلى ما قاله (افلوطين) في نظرية الانبثاق ، وكان أكثر تأثراً بأفلوطين من سلفه الفارابي ، فجعل " العلة القريبة للحركة نفساً لا عقلاً " فالعقل ليس سوى جانب من النظام الكوني العام ، فالعقل مبدأ النظام ، والنفس قوة محركة وفق النظام العقلي ، والمادة هي التي تقبل هذه الحركة ، فهناك عقل ينظم ونفس تحرك ومادة تتحرك ..

وعلى ذلك فمراتب الموجودات أربع :

١ ــ الجواهر المفارقة : وهي العقول السماوية ، مبدأ النظام الكوني .
٢ ــ الصور الروحانية : وهي نفوس الأفلاك مبدأ الكمال والحركة .
٣ ــ الهيولى : وهي الموضوع الذي توجد فيه الصور الطبيعية .
٤ــ الأعراض : وهي الكيفيات التي تتعاقب على الجوهر الواحد من غير أن تؤثر على ماهيته .

أما الله فهو محرك الكل على سبيل التشويق لأنه غاية الغايات[3] .

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٢٣٢ .
(٢) أخوان الصفا ص (١٥٠) .
(٣) ابن سينا/ لمحمد الحر ص (٨٩ ــ ٩٠) .

يقول الأب يوحنا قمير عن نظرية الفيض : هذه نظرية فاسدة في نظرنا من نواح عديدة من أهمها :

١ ـ غير صحيح أنه عن الواحد لا يصدر إلا واحد : إن الذي يوجد الواحد يوجد الكثير ، والذي يوجد البسيط يوجد المركب . إن قدرة الله اللامتناهية لا يشوبها ضعف أو كلل ، فهي في إيجاد الكثير نفسها في إيجاد الواحد .

٢ ـ غير صحيح أن علم الله ـ والعقول المفارقة ـ إيجاد : لا يكفي أن يعلم الله ، بل يجب أن يريد ويفعل ، أما العقول المفارقة فلا شأن لها في الخلق .

٣ ـ غير صحيح أن العالم صدر عن الله ضرورة : إن الله حُر [1] في أن يخلق ، وفي أن يخلق العالم أو غيره .

٤ ـ استعمال لفظ الفيض بدل لفظ (الخلق) يُوهم أن العالم شيء من الله ، فالإقلاع عنه أفضل أ هـ .

وهذا القول الأخير يؤكده (افلوطين) حين يقول بوحدة الوجود من خلال نظريته في انبثاق العقل والنفس والمادة عن الله لتكون معه شيئاً واحداً يتوق كل جزء للعودة إلى الأصل الأول الواحد [2] .

وابو حامد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ ينتقد هذه النظرية فيقول مخاطباً الفلاسفة : " كيف لا تستحيون من أنفسكم في قولكم : إن كون المعلول الأول ممكن الوجود اقتضى وجود جرم الفلك الأقصى .. وما الفرق بين هذا وبين قائل : عرف وجود إنسان وأنه ممكن الوجود .. فقال يلزم من كونه ممكن الوجود وجود فلك :فلست أدري كيف يقع المجنون من نفسه بمثل هذه الأوضاع " [3] .

---

(١) كذا قال ، والأولى أن يقول : إن الله تعالى ، أو حكيم سبحانه وتعالى .

(٢) ابن سينا ليوحنا قمير ص (٣٠) .

(٣) تهافت الفلاسفة ص (٤٢) .

قلت : وبهذا يتبيّن لنا بجلاء خطورة الأفكار والمعتقدات التي يدين ويعتقد بها ابن سينا لكونها تمس أعظم جوانب هذا الدين وأكبر مسائلة ألا وهو الإيمان بالله عز وجل الذي هو أول أركان الإيمان وأعظم مبانيه .

والآن نقرأ سوياً معتقده في توحيد الأسماء والصفات ، لندرك حقيقة معتقده الفاسد .

****

ج) نقد عقيدة ابن سينا في توحيد الأسماء والصفات :

توحيد الأسماء والصفات هو الإقرار والاعتراف بكل ما جاء في كتاب الله وبسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأسماء والصفات وإثبات ذلك كله على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف وإفرادها كما جاءت مؤمنين بها ومصدقين على حد قول الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى : ١١)

**** وهذا التوحيد له ثلاثة اصول :** [1]

١ ـ التصديق بها بالإقرار والاعتراف الجازم الذي لا شك فيه .

٢ ـ نفي التمثيل فلا تماثل صفاته شيئاً من صفات خلقه .

٣ ـ نفي التكييف وهو العلم بكُنه الصفة وحقيقتها وماهيتها كما يتصف بها رب العالمين ..

**** وهذا التوحيد له ثلاثة أركان :**

١ ـ الإيمان بالاسم كاسم الله : الله والرحمن والعليم .

٢ـ الإيمان بالصفة التي اشتق الاسم منها كالألوهية التي اشتق منها لفظ الجلالة (الله) والرحمة التي أشتق منها اسم الله (الرحمن) و(العلم) التي أشتق منها العليم .

٣ ـ الإيمان بآثار الأسماء والصفات القدرية والشرعية ، فالخلق كله من آثار اسمه (الخالق) وصفته (الخلق) و(الأمر) و(النهي) من آثار إرادته الدينية الشرعية ، وهكذا [2] .

---

(١) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص(٤٣) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٤٤) .

**** وعلى ضوء ما سبق سنناقش ابن سينا باختصار في مسألتين ، هما :**

١ ــ موقف ابن سينا من أسماء الله وصفاته .

٢ــ تأويل ابن سينا لأسماء الله وصفاته .

****

١ ــ موقف ابن سينا من أسماء الله وصفاته :

أثّر الفكر الباطني في ثوب الشيعي الإسماعيلي على ابن سينا ، لدرجة أنه يقول عن عقيدته في الإله على غرار ما يقول الفلاسفة اليونان ، فيقول في الإله : إنه واجب الوجود ، ويقول عنه : إن واجب الوجود هو الذي متى فرض أنه غير موجود عرض عنه محال . فهو إذاً ضروري الوجود .

ويقول عن ممكن الوجود : " إن ممكن الوجود : هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض عنه محال . أي أن ممكن الوجود عند ابن سينا هو الذي لا ضرورة في وجوده أو عدمه . ثم يقول : إن كان الله واجب الوجود بذاته فهو المطلوب . وإن كان ممكن الوجود فممكن الوجود لا يدخل في الوجود إلا بسبب يُرجح على عدمه ، فإن كان سببه أيضاً ممكن الوجود فهكذا تعلق الممكنات بعضها ببعض فلا يكون موجوداً البتة لأن هذا الوجود الذي فرضناه لا يدخل في الوجود ما لم يسبقه وجود ما لا يتناهى وهو محال ، فإذا الممكنات تنتهي بواجب الوجود بذاته " [(١)] .

وأما علم واجب الوجود فهو عند ابن سينا يعقل ذاته بذاته ، ويعقل ما بعده من حيث هو علة لما بعده ، ويعقل سائر الأشياء من حيث وجوبها في سلسلة الترتيب النازل من عنده طولاً وعرضاً ، وأما الأشياء الجزئية فإنها عنده تعقل في إطار مقفل علمه بالكليات .

---

(١) العقائد الباطنية لصابر طعيمة ، ص (٢٤٢)

ولما كان ابن سينا متأثراً بما عرف عن الإغريق على يد (ارسطو) في (المحرك الأول) ، فإنه قد غاب عنه أن الله في الإسلام هو الخالق لكل شيء ، والذي لا يتم شيء إلا بأمره ، ولا يدوم إلا بحفظه ، ويعلم سبحانه كل شيء مهما صغر ودق ، وأنه سبحانه هو الذي أخرج العالم من العدم إلى الوجود ، وهذا الإله الخالق الذي وصف علمه تعالى في كتابه بقوله سبحانه : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البرّ والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (الأنعام ٥٩)

وابن سينا بعد مقولة : (واجب الوجود) و(ممكن الوجود) أهتم بقضية (علة العلل عند سقراط) والتي أسماها ابن سينا : العقل الفعال ، الذي تنبعث عنه بواسطة الحركات المادية والنفوس البشرية والأفكار والصور الجوهرية التي تجب على المادة الأرضية أن تقبلها لتحل فيها . والمادة عند ابن سينا غير حادثة بل أزلية كما هي عند أرسطو ، وقد سلّم ابن سينا بنظرية أرسطوا في (العلل) وفي قضية (الكليات الفعالة) التي تقول بعقول خالقه من دون الله ، وهي نظرية أفلاطون التي تقول بتولد العقل الثاني عن العقل الأول ثم يتلوه عقل وعقل إلى العشرة ، وتحت كل العقول فلك صورته هي الكلية في الإله الخالق ، حيث يعتقد بصدور الموجودات عن طريق العقل الكامل لا عن أمر الله الخالق[(١)] .

قال شيخ الإسلام ــ رحمه الله تعالى ــ : (ابن سينا عرف أن قوله لا يتمّ إلا بما ادّعاه من التوحيد الذي مضمونه نفي صفات الرب وأفعاله القائمة بنفسه ، كما وافقه على ذلك من وافقه من المعتزلة ، وبموافقتهم له على ذلك استطال عليهم ، وظهر تناقض أقوالهم ، وإن كان قوله أشد تناقضاً من وجه آخر ، لكنه صار يحتج على بطلان قولهم بما اشتركوا هم وهو فيه من نفي صفات الله الذي هو أصل الجهمية ، وهكذا هو الأمر فإن حجة القائلين بقدم العالم ،

---

(١) المصدر السابق (٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥)

التي أعتمدها (ارسطوطاليس) واتباعه ، كالفارابي وابن سينا وأمثالهما ، لا تتم إلا بنفي أفعال الرب القائمة بنفسه ، بل وتبقى صفاته ، وإلا فإذا نوزعوا في هذا الأصل بطلت حجتهم ، وإذا سلّم لهم هذا الأصل صار لهم حجة على من سلّمه لهم ، كما أن عليهم حجة من جهة أخرى ، ولهذا كان حال القائلين بنفي أفعال الرب الاختيارية القائمة به في مسألة قدم العالم : إما إلى الحيرة والتوقف ، وإما إلى المعاندة والسفسطة ، فيكونون إما في الشك وإما في الإفك .. وابن سينا وصى بالأصل المتضمن نفي صفات الرب وأفعاله القائمة به ، ثم ذكر القولين في قدم العالم وحدوثه ، مع ترجيحه القدم ، مفوّضاً إلى الناظر الاختيار ، بعد أن يسلم الأصل الذي به يحتج على القائلين بالحدوث .

ونحن نبيّن — إن شاء الله — أن قوله مع تسليم نفي الصفات والأفعال القائمة بالله ، اشد فساداً وتناقضاً من قول القائلين بالحدوث ، فإن كان في قول هؤلاء ما يناقض صريح العقل ، ففي قول أصحابه من مناقضة المعقول الصريح ما هو أشد من ذلك . وذلك أنه إذا كانت الذات بسيطة ليس لها فعل يقوم بها أصلاً ، بل كان امتناع صدور الأمور المختلفة ، والحادثة عنها بوسط أو بغير وسط دائماً ، أشد امتناعاً من صدور ذلك بعد أن لم يصدر ، فإن أمكن أن يحدث عنها حادث بلا سبب محدث منها ، أمكن حدوث الحوادث عنها بعد أن لم تحدث ، وإن لم يمكن كان حدوث الحوادث المختلفة عنها ، بوسط أو غير وسط دائماً من غير فعل منها ، هو أبعد في الامتناع من صدور المختلفات عنها بعد أن لم تصدر " [1] .

والعجيب أن ابن سينا تردّد في إثبات صفة (العلم) لله تعالى ، وزعم أن الله — سبحانه وتعالى — لا يعلم الجزئيات : " وأما قول من قال من الفلاسفة : إنه لا يعلم إلا الكليات ، فهذا من أخبث الأقوال وشرها ، ولهذا لم يقل به أحد من طوائف الملة . وهؤلاء شرّ من المنكرين للعلم القديم ، من القدرية وغيرهم .

(١) درء التعارض ٩ / ٢٦٨ — ٢٦٩ .

وأما ما ذكره من أن الفلاسفة لا يقولون : إنه لا يعلم الجزئيات ، بل يرون أنه لا يعلمها بالعلم المحدث ، وإنكاره أن يكون المشاؤون من الفلاسفة ينكرون علمه بجزئيات العالم ، فهذا يدل على فرط تعصبه لهؤلاء الفلاسفة بالباطل ، وعدم معرفته بحقيقة مذهبهم ، فإنه دائماً يتعصّب لأرسطو ، صاحب التعاليم المنطقية والإلهية . وكلامه في مسألة العلم معروف مذكور في كتابه (ما بعد الطبيعة) ، وقد ذكره بألفاظه أبو البركات صاحب (المعتبر)[1] . وغيره ، وردّ ذلك عليه أبو البركات ، مع تعظيمه له ، وارسطوا ينكر علم الرب بشيء من الحوادث مطلقاً ، وكلامه في ذلك وحجة من أفسد الكلام .. ولكن ابن سينا وأمثاله زعموا أنه إنما يعلم الكليات والجزئيات ، يعلمها على وجه كلي . وهؤلاء فرّوا من وقوع التغيّر في علمه .. وذهب قدماء الفلاسفة إلى أنه عالم بذاته فقط ، ثم من ضرورة علمه بذاته يلزم منه الموجودات ، وهي غير معلومة عنده ، أي لا صورة لها عنده على التفصيل والإجمال .

وذهب قوم منهم إلى أنه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات ، وذهب قوم إلى أنه يعلم الكلي والجزئي جميعاً ، على وجه لا يتطرق إلى علمه نقص وقصور ، فهذا القول الثالث هو شبيه بالقول الذي اختاره ابن رشد . وأما القول الثاني والأول فهما اللذان حكاهما الغزالي عن الفلاسفة .. قال (الغزالي) منهم من قال : لا يعلم إلا ذاته ، ومنهم من يسلّم أنه يعلم غير ذاته . قال (الغزالي) :وهو الذي اختاره ابن سينا ، فإن زعم ان يعلم الأشياء كلها بنوع كلي ، لا يدخل تحت الزمان ، ولا يعلم الجزئيات التي يوجب تجدد الإحاطة بها تغيراً في ذات العالم ، وذكر الغزالي أنهم اتفقوا على أنه لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان إلى الكائن ، وما كان ، ويكون " .

(١) هبة الله بن علي بن ملكا : (٤٨٠ — ٥٦٠ هـ) طبيب وفيلسوف ، كان يهودياً فأسلم ، ومن أشهر مؤلفاته (المعتبر) في الحكمة ، يقدره ابن تيمية — رحمه الله تعالى — وفضّله على كثير من المتكلمين والفلاسفة .
انظر : درء التعارض ٦ / ٢٤٨ .

قال ابن سينا في (الرسالة الأضحوية) : " وهل هو : واحد الذات على كثرة الأوصاف ، أو قابل لكثرة ؟ تعالى عنها من الوجوه " [1] .

" فيقال له : الكتاب الإلهي مملوء بإثبات الصفات لله تعالى ، كالعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك ، ولم يتنازع اثنان من العقلاء أن النصوص ليست دالة على نفي الصفات ، بل إنما هي دالّة على قول أهل الإثبات ، لكن غاية ما تدّعيه النفاة أن ظاهرها دال على ذلك ، وإنه يمكن تأويله للدليل المعارض ... والعلم بإثبات الصفات من قول الله ورسوله ، بعد تدبر النصوص الإلهية ، علم ضروري لا يرتاب فيه ، وهو أبلغ من العلم بثبوت الشفعة ، وميراث الجدة ، وتحريم المرأة على عمتها وخالتها ، وسجود السهو في الصلاة " [2] .

ثم رد شيخ الإسلام ــ رحمه الله تعالى ــ على ابن سينا في قوله : " أهو : متحيّز الذات أم مُنزهها عن الجهات " ؟ .

فقال : " هو أيضاً من حججهم على نُفاة الصفات ، فإن الكتب الإلهية وصفته بالعلو والفوقية ، ولم تنف أن يكون فوق العالم كما تقوله النفاة .. أما لفظ (التحيّز) و(الجهة) فلفظان مجملان ، ومراد النفاة منهما غير المراد في اللغة المعروفة .. ولما كان لفظ (المتحيّز) فيه إجمال وإيهام ، وامتنع طوائف من أهل الإثبات عن إطلاق القول بنفيه أو إثباته ، ولا ريب أنه لا يوجد عن أحد من السلف والأئمة لا إثباته ولا نفيه " [3].

وقال ابن سينا : " الإقرار بالصانع مقدّساً عن الكم ، والكيف ، والأين ، ومتى ، والوضع ، والتغيّر ، حتى يصير الاعتقاد أنه ذات واحدة ، لا يمكن أن يكون له شريك في النوع ، أو يكون له جزء وجودي كميّ أو معنوي " .

---

(١) درء التعارض ٩/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ بتصرف يسير .

(٢) درء التعارض ٥ / ٥٠ .

(٣) درء التعارض ٥ / ٥٥ ــ ٥٧ .

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : " فكلامه هذا يتوهم الجاهل أنه تعظيم لله ، ومراده أنه ليس لله علم ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا كلام ، ولا محبة ، وأنه لا يُرى ، ولا يباين المخلوقات " [1] .

(ومن هنا ابتدع من ابتدع لمن اتبعه على نفي الصفات اسم (الموحّدين) وهؤلاء منتهاهم أن يقولوا : هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، كما قاله طائفة منهم ، أو بشرط نفي الأمور الثبوتية ، كما قاله ابن سينا وأتباعه ، أو يقولون : هو الوجود المطلق لا بشرط ، كما يقوله القونوي وأمثاله .

ومعلوم بصريح العقل الذي لم يكذب قط أن هذه الأقوال باطلة متناقضة من وجوه :

١ــ أن جعل عين العلم عين القدرة ، ونفس القدرة هي نفس الإرادة والعناية ، ونفس الحياة هي نفس العلم والقدرة ، ونفس العلم نفس الفعل والإبداع ونحو ذلك معلوم الفساد بالضرورة ، فإن هذه حقائق متنوعة ، فإن جُعلت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول : إن حقيقة السواد هي حقيقة الطعم ، وحقيقة الطعم هي حقيقة اللون ، وأمثال ذلك مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة .

٢ــ أن من المعلوم أن القائم بنفسه ليس هو القائم بغيره ، والجسم ليس هو العرض ، والموصوف ليس هو الصفة ، والذات ليست هي النعوت ، فمن قال : " إن العالم هو العلم ، والعلم هو العالم " فضلاله بيّن . وكذلك معلوم أن العلم ليس هو المعلوم ، فمن قال : " إن العلم هو المعلوم ، والمعلوم هو العلم " فضلاله بيّن أيضاً .

٣ ــ أن يقال : الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، أو بشرط سلب الأمور الثبوتية ، أو لا بشرط مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج ، وإنما يوجد في الذهن ، وهذا مما قرّروه في منطقهم اليوناني ، وبيّنوا أن المطلق بشرط الإطلاق ، وجسم مطلق بشرط الإطلاق ، ووجود مطلق بشرط الإطلاق : لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان .. " [2] .

---

(١) درء التعارض ٥ / ٨٧ .

(٢) درء التعارض ١ / ٢٨٥ ــ ٢٨٦ .

قال ابن سينا : " ليس يجوز أن يعقل من الأشياء ، وإلا فذاته إما متقومة بما تعقل ، فيكون متقوماً بالأشياء . وإما عارضاً لها أن تعقل ، فلا تكون واجبة الوجود من كل وجه " [١].

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : " قولك (يعقل الأشياء من الأشياء) أتريد به أن الأشياء تجعله عاقلاً فتعلّمه العلم بها ؟ أم تريد أن علمه بالأشياء لا يكـون إلا مع تحقق المعلوم ؟ أم تعني به أن علمه بالأشياء يكون بعد وجود المعلوم ؟

أما الأول فلا يقوله مسلم ، بل المسلمون متفقون على أن الله مستغنٍ عما سواه فـي علمه بالأشياء في غير ذلك ، بل هو المعلم لكل من علم سواء من علمه . وقد قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ (البقرة : ٢٥٥) .

وقال : ﴿ تُعلّمونهن مما علّمكم الله ﴾ (المائدة : ٤) .

وإن أراد بذلك أن يعلم الأشياء بعد وجودها ، فلا ريب أنه يعلـم مـا يكـون قبـل أن يكون ، ثم إذا كان : فهل يتجدّد له علم آخر ؟ أم علمـه بـه معدومـاً هـو علمه به موجوداً ؟ هذا فيه نزاع بين النظّـار ، وأي القوليـن كـان صحيحـاً حصل به الجواب))[٢] .

(١) النجاة لابن سينا ٣ / ٢٤٦ .

(٢) درء التعارض ١٠ / ١٥ ــ ١٧ بتصرف يسير .

قلـــت : ولعل تأويل ابن سينا لأسماء الله وصفاته خير دليل لكشف عقيـدة هـذا الرجل الذي قال فيه الشاعر :

قطعنا الأخوّة عن معشـــر

بهم مرض من كتاب الشفـــا

فماتوا على دين (رسطالس)

وعشنا على سنّة المُصطفـــا [١]

(١) ذكر هذين البيتين (حاجي خليفة) في كتابه (كشف الظنون) ٢ / ١٠٥٥ ، ونسبهما إلى : (أبي سعيد أبي الخير) !! .

ثم رد على ذلك . وبعد البحث وجدت البيتين منسوبين إلى أبي القشيري : (عبد الرحمن بن عبدالواحد بن عبدالكريم القشيري) المتوفى سنة (٤٦٠هـ) ــ رحمه الله تعالى ــ قال ابن حجر عنه : ((كان خطيب نيسابور ، ويرجع إلى فضل وتميز ومعرفة بعلوم القوم ، مع سلامة الجانب والتودد وحسن الخلق))

والبيتان ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ مع بيتين آخرين ، مع اختلاف في الترتيب على البيتين السابقين ، والأبيات :

قطعنا الأخوة من معشر ... بهم مرض من كتاب الشفا

وكم قلت : يا قوم أنتم ... على جرف من كتاب الشفا

فلما استهانوا بتنبيهنا ... رجعنا إلى الله حتى كفى

فماتوا على دين رسطالس ... وعشنا على ملة المصطفى

انظر : فتاوى ابن تيمية ٩ / ٢٥٣ . وللوقوف على ترجمة ابن القشيري ، انظر : لسان الميزان ٦ / ١٢٦ وطبقات الشافعية ٤ / ٢٦٢ . والصفات الإلهية بين السلف والخلف (ص ٢٠١) .

اللهم أحينا على سنة المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتوفنا عليها وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، آميـــــن .

٢ ـــ تأويل ابن سينا لأسماء الله وصفاته :

يقول ابن سينا في (الرسالة الصمدية) في تفسير سورة الإخلاص)
" (قل هو الله أحد) "هو : "الهو " المطلق هو الذي لا تتوقف ماهيته على غيره ، لأن التوقف على الغير ما لم يعتبر الغير لم يعتبر . فلا يكون هو هو ، والذي هويته لذاته سواء اعتبر غيره أم لم يعتبر فهو هو . وعلى ذلك فأعتبار وصف (هو) الذي أطلق على الله من نفسه يجب أن نجزم بأنه ليس ممكن الوجود لتوقف الممكن على الغير . ولا أن هناك تغايراً بين ماهيّته ووجوده ، لأن كل من كان كذلك فوجوده من غيره ، لأن ماهيته قبل وجوده لا يمكن أن تكون سبباً في وجود نفسها ، وإذا كان وجوده من غير أن يكن هو هو ، وكذلك يجب أن لا يكون مركباً من أجزاء أصلاً ، وإلا كان وجوده متوقفاً عليها فلم يكن هو هو ، وكذلك يجب أن يكون لا حد له ، أي غير مركب في النفس من جنس وفصل حيث إنه لا مقومات له ، ولذلك حينما اراد الله أن يشرح هويته أتى بتعريف جامع لما يلزم ذاته من حيث هي ، ولما يلزمها باعتبار اضافتها إلى غيره حتى يكون تعريفاً واضحاً ، ولم يأت بحد . إذ أنه لا حدّ له ، فقال " الله " فإن الإله المطلق هو الذي تنسب إليه جميع الكائنات ـــ وهو إضافة ـــ ولا يُنسب إلى غيره ـــ وهو سلب ـــ ثم بعد ذلك صرّح بما تستلزمه الهويّة المطلقة ، وتكون دليلاً عليه من نفي التركيب عنه . فقال " أحد " باطلاق ، أي مبالغ في الوحدانية . ولا تتحقّق المبالغة إلا بالبساطة التامة ، ثم قال " الله الصمد " فأراد أن يشرح (الإلهية) التي جعلت معرفاً للهوية المطلقة ، فقال " الصمد " وهو الذي لا جوف له ولا باطن ، فهو إذن مجرّد عن الماهية ، إذ كل من كان له ماهية فله باطن وهو ماهيتّه . والواجب في الواقع (إنّ ووجود فقط) وهذا يستلزم أبديته كما استلزمت هويته أزليته[1] .

(١) وابن سينا له تأويل عجيب وغريب ، كالظلمات بعضها فوق بعض ـــ لا سيما في تأويل سورة (الناس) "يحرفون الكلم عن مواضعه " انظر : ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (٢٠٣) .

وكذلك " الصمد " في اللغة السيّد ومعناه هنا أنه سيّد الكل ـ أي مبدأ لصدور الكل عنه ، فهو علة النظام والحيز في الوجود ، والمعنى الأول للصمد سلبي ـ والثاني اضافي ، ومجموعهما يحقق معنى (الإلهية) ولما كان الصمد معنى يستلزم أن يكون الكل عنه فقد نفى القرآن أن يتولد عنه مثله ، ثم أقام الدليل على ذلك بقوله : " ولم يولد " أي لم يتولد عن غيره ، فيكون الدليل هكذا ، أنه لو تولد عنه مثله لشاركه في شيء وتميز عنه بأخر ، ولا يكون التميز إلا بالمادة وعلائقها ، وكل ما كان مادياً أو له علاقة بالمادة فهو متولد عن غيره ، وهو غير متولد عن غيره ، والدليل على أنه غير متولد عن غيره ما ذكر في أول السورة من أنه " هو " أي هوية مطلقة ، والمتولد عن غيره يتوقف عليه فلا يكون هوية مطلقة ، ويؤخذ من قوله " لم يولد " ـــ فوق كونه دليلاً ـــ أن الله ليس له مساوي في الوجود، وذلك لأن كل من كانت ماهيته مشتركة بينه وبين غيره على فرض أن يكون المساوق من نوع لا بد أن يكون وجوده مادياً . فيكون متولداً عن غيره . وأما إذا كان المساوق في الماهية الجنسية فمعنى هذا أنه يصبح مركباً من جنس بمثابة الأم وفصل بمثابة الأب فيكون متولداً عن غيره . وإذا كان واجب الوجود واحداً من كل وجه ، وليس له مشارك في نوع أو جنس وكان بريئاً عن العدم والنقص ، فهل يمكن أن يكون له مكافئ في الوجود ؟ الجواب : لا . ولذلك قال الله : ((ولم يكن له كفواً أحد)) أنظر إلى كمال حقائق هذه الصورة ، فإنه قد أشار أولاً إلى الهوية المحضة التي لا اسم لها إلا أنه (هو) ثم عقب بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة واشدها تعريفاً كما بينا .. "[1] .

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٠٨) . قلت : أنصح كل من اطلع على هذا الكتاب " ابن سينا بين الدين والفلسفة لحمودة غرابة " أن يحذر من تمجيد مؤلفه لابن سينا وإطرائه ، فالمؤلف ـــ عفا الله عنه ـــ من المعجبين بابن سينا وبعقله وفلسفته ، وقد اتهم السلطان محمود بن سبكتكين بأنه عدو ابن سينا ونال من شخصيته ، وقد رددت عليه في كتابي : " محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وموقفه من عقيدة أهل السنة والجماعة " .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (الحاقة : ١٧)

العرش : هو الفلك المحيط ، والمقصود بالثمانية الأفلاك الداخلة فيه ، والمقصود باليوم في قوله (يومئذ) يوم القيامة . فما هو يوم القيامة عنده ؟ يقول :هو يوم الموت أعني يوم مفارقة النفس للبدن .

ثم يعلّل لجعل الوعد والوعيد وأشباههما مختصاً بهذا الوقت فيقول : إن تحقيق النفس عند المفارقة آكد .

وقال عن (الجنة) و(النار) : العوالم ثلاث : عالم الحس ، وعالم الخيال والوهم ، وعالم العقل ، فالعالم العقلي حيث المقام للنفس هو (الجنة) . والعالم الخيالي الوهمي حيث العطب هو (جهنم) والعالم الحسي هو عالم (القبور) . ويقول مُمهداً لمعنى (الصراط) : النفس في وصولها إلى المقولات تحتاج إلى الحس الظاهر ونعلم أن الإدراكات تنتقل من الحس الظاهر إلى الخيال والوهم . وهذا هو من الجحيم طريق وصراط دقيق صعب حتى تبلغ إلى ذات العقل ، أي الجنة ، فهو إذن يرى أن من وقف قبل أن يصل إلى مرتبة المعرفة فهو جهنم ، ومن سار حتى وصل إليها فقد اجتاز الصراط وبلغ دار النجاة [1].

ويقول في تفسير قول الله تعالى : ﴿عليها تسعة عشر ﴾ (المدثر : ٣٠) :

" إذ قد تبين أن الجحيم هو ما هو وبينا أنه بالجملة النفس الحيوانية ، وبينا أن هذه النفس هي الباقية الدائمة في جهنم وهي منقسمة قسمين : إدراكية وعملية ، والعملية شوقيه وغضبيه ، والعملية هي تصورات الخيال المحسوسات بالحواس الظاهرة . وتلك المحسوسات ستة عشر ، والقوة الوهمية الحاكمة على تلك الصور حكماً غير واجب واحدة ، ستة عشر وهي تصورات الخيال **المحسوسات** وواحدة ، وهي القوة الوهمية ــ فالمجموع سبعة عشر ، يضاف إليهما القوة

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٦٨) .

الشوقية والقوة الغضبية اللّتان هما قسمان للقوة العملية ، فيكون المجموع تسعة عشر " [1] .

وقال عن عدد ابواب الجنة ــ جعلنا الله من أهلها ــ وعدد أبواب النار ــ نعوذ بالله من حال أهلها ــ :

" قد علم أن الأشياء المدركة إما مدركة للجزئيات بموادها كالحواس الظاهرة وهي خمسة ، أو مدركة متصوّرة بغير مواد كخزانة الحواس المسماة بالخيال أو قوة حاكمة عليها حكماً غير واجب وهي الوهم . أو قوة حاكمة حكماً واجباً وهي العقل . وهذه ثمانية (يقصد أبواب الجنة) فإذا اجتمعت الثمانية جملة أدّت إلى السعادة السرمدية والدخول في الجنة ، وإن حصل سبعة منها لا تستتم إلا بالثامن أدت إلى الشقاوة السرمدية . والمستعمل في اللغات أن الشيء المؤدّى إلى الشيء يسمى بابا له ، فالسبعة المؤدية إلى النار سُميت أبواباً لها ، والثمانية المؤدية إلى الجنة سميت أبواباً لها . وهذا هو ما يرمي إليه الدّين بإشاراته ورموزه من معان وحقائق " [2].

قلت : أتمنى من القارئ الكريم أن يعيد قراءة هذا المبحث من هذه الرسالة ، حتى يستيقن أن ابن سينا يتلاعب بتوحيد الله وأحكام الإسلام وأمور الغيب تلاعباً لم يقع من كبار مشركي العرب في زمن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وصدق الله إذ يقول :

﴿ يُريدون لُيطفؤا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾ (الصف : ٨) .

(١) المصدر السابق ص (١٦٩) . وقال في رسالة المبدأ والمعاد ص (٢٥٤) :
(وهذا كلام معلق تحته معان كثيرة في شرحه على الحقيقة تكون النجاة) !! .

(٢) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٦٩)

المبحث الرابـــــع

﴿ عقيدة ابن سينا في النبوة والوحي والرسالة ﴾

يسمي ابن سينا (النبوة) : نظريّة النبوة ، وتعتمد هذه النظرية عنده على ما ذهـب إليه مما اقتبسه من الفلاسفة الأولين وما أسماه (المعرفة) . والمعرفة عنـــده أن فعل العقل إما أن يتم بواسطة العلم بالمحسوسات ، وإما بغير واسطة ــ وهذا حين تنكشف له المعقولات الكلية دفعة بواسطة العقل الفعّـال ، أو بإشـراف بعـض العقول المفارقة[١] .

والوحي الخاص بالأنبياء عند ابن سينا ضرب من هذا الاتصال ، أي أنه يتم لهم إما بواسطة العقل الفعال أو بإشراف بعض العقول المفارقة ، وعند ابن سينا كلما كان الوحي أكمل كان الملك الذي يجيء به أعلى درجة وأعظم مرتبة .

والفرق بين الأنبياء والعارفين والأولياء عند ابن سينا ، أن الوحي للأنبياء بـالطبع ، أما عند العارفين والأولياء فلا يكون إلا بعد التدرج في مقامات طويلة من تصفية العقل والنفس وتزكيتهما ، وعنده أن الأنبياء عندهم استعداد خاص لقبول الإلــهام بما فيهم من اعتدال مزاج البدن ، وهم يتقبلون هذا الاعتدال من الفيض الإلـــهي عند الواحد الأول بسبب ما لهم من منزلة في الاشراق الكليّ ، وعند ابن سـينا أن هذه الصفات الطبيعية هي التي تجعل الأنبياء أكمل مخيّلة للنوع البشري ، ولسبب هذا الكمال الذي يقول به ابن سينا يكون الأنبياء عنده مفوضين بالرســـالة التـي يشرّعون فيها للناس أحوال دينهم ودنياهم .

وابن سينا يشترط في النبي ثلاثة شروط :

أولا : صفاء الذهن .

ثانياً : كمال القوة المتخيلة وهي القوة التي تستعيد بها الصور والمعـــاني ، وتُفـرق وتؤلّف بينهما في عمليات التفكير والابتكار .

---

(١) انظر للفائدة كتاب : نظرية المعرفة وموقف المتكلمين منها ، فقد ذكر مباحث مهمة في هذا الباب يحسن الوقوف عليها .

ثالثاً : القدرة على التأثير في المادة الخارجية[١] .

وهذا الشروط الثلاثة لا بدّ منها عند ابن سينا لكي يمكن للنبي اكتساب المعرفة ، التـي تقوم هي الأخرى عنده على ثلاثة مصادر .

١ ــ الحواس التي تنقل صور الأشياء إلى النفس .

٢ــ العقل الذي يجرّد المحسوسات من العوارض المشخّصة ، وينتزع صـــوراً كليـة منها .

٣ــ العقل الفعال الذي يفيض على النفس الإنسانية بالمعرفة عندما تبلغ هـــذه النفـس درجة تؤهلها لتقبل هذا الفيض ، والعقل الفعال عند ابن سينا هو العقل الكلي الـذي يدبّر هذا الكوكب الذي نعيش فيه . والكواكب السيّارة على رأي ابن سينا :أجســام حية تتحرك حركات إرادية ، ولكل كوكب منها عقل يدبره وهذه العقول موجـودات روحانية تشارك الإله .

وأما كيفية تلقي النبي للوحي عند ابن سينا فلا يرجع إلى تزويــد الله النبـي العبادات ولا إلى أحاديث النفس التي هي عنده من قبيل قول النبـــي ــ صلـى الله عليه وسلم ــ : ((إن روح القدس نفث في رَوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب*)) بل إن كيفية تلقي النبي للوحي عنـد ابن سينا عبارة عن: فيضان العلوم من الله على لوح قلب النبي بواسطة الملك وقوة التخيل التي تتلقى تلك العلوم وتتصورها بصورة الحروف والأشــكال المختلفـة ، وعندما تجد لوح النفس فارغاً فتتفشى تلك العبارات والصور فيـــه فيسـمع فيـها كلاماً منظوماً ويرى شخصاً بشرياً فذلك هو الوحي لأنه إلقاء الشيء إلى النبـي بلا زمان ، وتارة يُعبّر النبي عن ذلك بعبارة العبرية وتارة بعبارة العربية تـارة ، فالمصدر واحد والمظهر متعدد . ومثل ذلك سماع كلام الملائكة ورؤيتها ، وكلمـا عبر النبي بعبارة اقترنت بنفس الصور ، فذلك هو آيات الكتاب[٢] .

---

(١) العقائد الباطنية (ص ٢٤٧) .

* أخرجه الحاكم (٤/٢) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥١) ، وأخرجه ابن ماجه في سننه بسند صحيح لكن بدون (إن روح القدس) (١٧٤٣) .

(٢) العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها ص ٢٤٨ وابن سينا بين الدين والفلسفة (ص١٢٣) .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : " من لم يكن عارفاً بالأنبياء من فلاسفة اليونان والهند وغيرهم ، لم يكن له فيهم كلام يعرف ، كما لم يُعرف لأرسطو واتباعه فيهم كلام يعرُف ، بل غاية من أراد أن يتكلّم في ذلك كالفارابي ، وغيره أن يجعلوا ذلك من جنس المنامات المعتادة .. وعلى هذا بنى ابن سينا أمر النبوّة أنها من قوى النفس وقوى النفس متفاوتة ، وكل هذا كلام من لا يعرف النبوة بل هو أجنبي عنها " [1] .

(" وأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون : إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر ، وعن الجنة والنار ، بل وعن الملائكة ، بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه ، لكنهم خاطبوهم بما يتخيّلون به ، ويتوهمون به أن الله جسم عظيم ، وأن الأبدان تعاد ، وأن لهم نعيماً محسوساً ، وعقاباً محسوساً ، وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر ، لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهّمون ويتخيّلون أن الأمر هكذا وإن كان هذا كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور ، إذا كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذا الطريق . وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل ، كالقانون الذي ذكره في رسالته الأضحوية . وهؤلاء يقولون : الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها ، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر ، وأن كانت الظواهر في نفس الأمر كذباً وباطلاً ومخالفة للحق ، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة . ثم أن هؤلاء من يقول : النبي كان يعلم الحق ، ولكن أظهر خلافه للمصلحة ، ومنهم من يقول :ما كان يعلم الحق ، كما يعلمه نظّار الفلاسفة وأمثالهم ، وهؤلاء يفضّلون الفيلسوف الكامل على النبي ، ويفضّلون الوليّ الكامل الذي له هذا المشهد على النبي ،

(١) النبوات ص (٢٢٣) .

كما يفضل ابن عربي الطائي[1] (خاتم الأولياء) ـ في زعمه ـ على الأنبياء ، وكما يفضّل الفارابي ومبشّر بن فاتك [2] وغيرهما الفيلسوف على النبي . وأما الذين يقولون : إن النبي كان يعلم ذلك ، فقد يقولون : إن النبي أفضل من الفيلسوف ، لأنّه علم ما علمه الفيلسوف وزيادة ، وأمكنه أن يخاطب الجمهور بطريقة يعجز عن مثلها الفيلسوف. وابن سينا وأمثاله من هؤلاء . وهذا في الجملة قول المتفلسفة والباطنية ، كالملاحدة الإسماعيلية ، وأصحاب رسائل (أخوان الصفا) والفارابي وابن سينا والسهروردي المقتول[3] وابن رشد الحفيد[4] وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة ، كابن عربي وابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة (حي بن يقظان) وخلق كثير غير هؤلاء " [5] .

قلت : وقد سمّى الإسماعيليون الأنبياء بالنطقاء ، لأن النطق كما قالوا : قسمان ، أحدهما ما يتميّز به الإنسان عن البهائم وهو النطق عمّا في الدنيا ، والآخر النطق عما في الآخرة المتميّز به أهل التأييد الذين يتكلّمون عما وراء الحجاب .

(١) ابن عربي : محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) من القائلين بالوحدة والاتحاد ، أحد الزنادقة المعروفين بطائفتهم وخرافاتهم ، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٤ / ١٧٣ ـ ١٧٨ ، والبداية والنهاية ١٣/١٥٦ ، وميزان الاعتدال ٣ / ١٠٨ ، وغيرها .

وقد جمع تقي الدين الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ عقيدته ، وما قيل عنه في رسالة قيمة حققها : علي حسن عبد الحميد .

(٢) الداعي بالأمر ، المتوفى سنة (٥٠٠هـ) أصله من دمشق ، استوطن مصر في أيام الظاهر والمستنصر .

وفي درء التعارض لابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد ـ رحمه الله تعالى ـ ١ / ١٠ ذكر أنه توفي سنة (٦٠٠هـ) وهو خطأ مطبعي بلا شك ، فتنبه .

(٣) يحيى بن حبش ، فيلسوف منطقي (٥٤٩ ـ ٥٨٧هـ) متهم بالانحلال والتعطيل ، أنظر السير ٢١/٢٠٧ .

(٤) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ) فيلسوف ، يُعزى إليه الفضل في شرح وتقريب كتب أرسطو !!

انظر السير ٢١/٣٠٧ .

(٥) درء التعارض ١ / ٩ .

وزعم الإسماعيليون أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي ، إلاّ عن طريق الحدود الروحانية وهي (الجد ، والفتح ، والخيال) فالسابق يوحي إلى التالي ، الذي يوحي بدوره إلى الجد وهو ــ اسرافيل ــ ، فيبلّغه إلى الفتح وهو ــ ميكائيل ــ الذي ابلغه إلى الخيال ــ جبرائيل ــ فيوحيه جبرائيل إلى الناطق الحي الذي يكون يمثل في دوره دور السابق . [1]

****

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص (٩٦)

قلت : إلى جميع أصدقاء ابن سينا في الشرق والغرب أسوق هذا الحوار الذي جرى بين ابن سينا وتلميذه (بهمنيار) الذي سأل شيخه ذات يوم : لماذا لم تدّع النبوة ، وأنت الطائر الصيّت ، أعلم بجميع العلوم في هذا الزمان ؟ وصعد المؤذن عند الفجر يدعو للصلاة ، فطلب ابن سينا من تلميذه أن يأتي له بقدح من الماء ، فقال بهمنيار : أتشرب الماء الآن وما كدت تستيقظ ؟ إن شرب الماء عند اليقظة يُضر بالأعصاب والعروق ، فقال ابن سينا : إني أنا الطبيب الوحيد في هذا الجيل فكيف تمنعني من شرب الماء ، فأجاب بهمنيار : إن العرق يسيل على جسمي وإذا خرجت خفت الضرر . فقال ابن سينا : سأشرح لك الآن لماذا لم أدّع النبوة ، لقد توفي النبي محمد (؟) منذ ٤٠٠ سنة ولم يزل أثره في النفوس ولا يزال الناس إلى اليوم مع شدة البرد يلبون باسمه في الصلاة من فوق المآذن ، أما أنا فعلى الرغم من أني على قيد الحياة وأنت أقرب الناس إليّ لم تأتمر وتعطيني الماء الذي طلبته منك ! .

انظر : كتاب المهرجان الذهبي لابن سينا / سهيل أنور .

وفي معجم المؤلفين ١ / ٤٤٩ ترجمة التلميذ المجوسي ! .

المبحث الخامس

﴿ عقيدته في البعث والمعاد وأمور الآخرة ﴾

ابن سينا ينكر المعاد الجسماني بحجة أن العقل يعجز عن تصوره ". والمتفلسفة الدهرية ، كالفارابي وابن سينا يزعمون أن العقل يُحيل معاد الأبدان ، فيجب تقديم العقليات على دلالة السمع ، ويخاطبون من اقرّ بالمعاد من المعتزلة وموافقيهم في نفي ذلك ، بما تخاطب به المعتزلة المثبتة للصفات ، ويقولون لهم : قولنا في نصوص المعاد كقولكم في نصوص الصفات " [1] .

قال أبو حامد الغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ : " وقد اتفقوا ــ أي الإسماعيلية ــ عن آخرهم على إنكار القيامة وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا ، من تعاقب الليل والنهار ، وحصول الإنسان من نطفة ، والنطفة من إنسان ، وتولّد النبات ، وأوّلوا القيامة ، وقالوا : إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان ، وهو السابع الناسخ للشرع المميّز للأمر ، وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء ، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد ، ولا الجنة والنار ، ولكن قالوا : معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله ، وزعموا أن نفوس المعاندين لمذهب الإسماعيلية ، تبقى أبد الدهر في النار ، على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان ، فلا تزال تتعرّض فيها للألم والأسقام ، فلا تفارق جسداً إلا ويتلقّاها آخر " [2].

والقيامة عندهم معناها عودة الروح إلى مبدئها ، وهي النفس الكلية ، يعني إبطال العقاب والثواب في الجنة والنار ، لأن العقاب ــ في رأيهم ــ هو الآلام والأوجاع التي تراها الروح في تقلّبها في الأجسام والأقمصة المختلفة ، وأما الثواب فهو اللذات التي يأخذها المؤمن من مراتب العلوم .

وقد أعتبر ((جعفربن منصور)) اليمن ، عقيدة حشر الأجساد مضحكة ، لأن الحياة

(١) درء التعارض ٥ / ٢٥٠ .

(٢) فضائح الباطنية للغزالي (٤٤)

السرمدية ليست ســــوى عــودة الــروح إلـــى مبدئـــها . ولـــهذا قـــال شـــاعرهم (عامر البصري)[١] .

ولي صورة محصورة القدر ضبطها .. ظهوري لعيني عند لبسي بردتي
فابدوا بها صورة بعد صـــــــورة .. وآخر ما يتلـوه أول نشــــــأتي
قيامتي الصغرى بخلعي وإنمـــــــا .. قيامتي الكبرى بتتميم دورتـــي[٢]

****

وقد اعتبر بعض الإسماعيلية عذاب القبر انه: تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها مـــن الصور الهيولانية المخالفة للطبائع ، وذلك على سبيل التعبير ، كما اعتبروا النشـــر ظهور النفوس في عالم بعد عالم وفق مكتسباتها . وأولّوا على هذا الأساس القيامة ، بأنه قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية ، والآلات الجســـدانية ، وقيـــام الشرائع والأديان ، بظهور صاحب الزمان ، وقيام الدور ، بـــروز النفـــس الكليـــة لمحاسبة النفوس الجزئية ، وقيام القيامة بكامل الإخلاص والنجاة ، واستراحة النفوس بأجمعها من الإيراد والاصدار [٣].

وجنة النعيم ــ عندهم ــ هي عالم العلم ، ودرجاتها هي مراتب العلوم ، واما اللذات ، فهي جولات النفوس في فضاء معارجها وابتهاجها عند الحصول فـــي مشـــاهدها ومواقعها [٤] .

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

والأبيات المذكورة شبيهة تائية ابن الفارض المعروفة نظم السلوك وهي في الحقيقة نظم الشكوك ، وأولها :

سقتني حُميا الحُب راحة مُقلتي ... وكأسي محيا من عن الحُسن جلت

(٢) أربع رسائل إسماعيلية / عارف تامر ص (٦٣) .

(٣) الحركات الباطنية وموقف الإسلام منها ص (١١٥) .

(٤) المصدر السابق ص (١١٦) .

ويُقرّر ابن سينا ما تقدم باعتقاده أن آيات القرآن وأحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ المثبتة لأمور الآخرة ما هي إلا رموز وإشارات قال بها النبي لأنه يخاطب قوماً لا يستطيعون أن يدركوا هذه الحقائق ، فقرر لهم أمر المعاد على وجه يتصوّرون كيفيته ، وتسكن إليه نفوسهم بما يفهمونه ويتصورونه [١].

****

---

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٦٥)

قلت : ويُرَدّ على ابن سينا هنا سؤال : كيف نصنع بنصوص القرآن والسنة التي تقص علينا وتصور لنا حال أهل النعيم في الجنة ، وحال أهل الجحيم في النار ؟ !

كيف نصنع بالآيات التي تذكر ندم الكفار على حياتهم في الدنيا وقولهم : ((ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا ، تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون)) (القصص ٦٣) .

هل هذه رموز وإشارات ؟ !! .

المبحث السادس

﴿ عقيدته في أمور وقضايا مختلفة ﴾

أ ــ عقيدته في الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ

ب ــ عقيدته في النفس والروح .

ج ــ عقيدته في الجن والشياطين .

أ ــ عقيدته في الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ:

" ... وكذلك ابن سينا ، وغيره : يذكر من التنقص بالصحابة ما ورثه من أبيه وشيعته القرامطة ، حتى تجدهم إذا ذكروا في آخر الفلسفة حاجة النوع الإنساني إلى الإمامة عرّضوا بقول الرافضة الضلال ، لكن أولئك يصرّحون بالسبّ بأكثر مما يصرح به هؤلاء " [1] .

ب ــ عقيدته في النفس والروح : [2]

تأثّر ابن سينا بكتاب (النفس) لأرسطو كما تأثّر بمذهبه الإسماعيلي وبالنّزعة الأفلاطونية الروحانية فقال في تعريف النفس : إنها جوهر قائم بذاته ، وهي جوهر وصورة في آن واحد .

وابن سينا ينطلق من النصيحة السقراطية الشهيرة : (اعرف نفسك) إذ المعرفة الصحيحة تبدأ بمعرفة النفس ومنها تبدأ الحكمة ، وبما أنّ كل معرفة تبدأ بمعرفة النفس فمعرفتها طريقة إلى معرفة الله ومن ثم سائر الموجودات .

(١) فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٠٣ .

(٢) انصح بقراءة كتاب : الروح لابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ تحقيق الدكتور بسام العموش .

فقد خدم الكتاب خدمة مباركة يسّرت الانتفاع به ، فجزاه الله خيراً على ما عمل وكتب .

يقول ابن سينا : " لقد اتفق الحكماء والأولياء على أن من عرف نفسه عرف ربه .. ومن عجز عن معرفة نفسه فأخلق به أن يعجز عن معرفة خالقه " .

وابن سينا يقسم النفس إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ النفس النباتية : وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي ، له الحياة بالقوة من جهة ما ينمو ويتغذّى ويتكاثر .

٢ ــ النفس الحيوانية : وهي كمال أوّل لجسم طبيعي آلي له الحياة بالقوة من جهة ما يحس ويتحرك بالإرادة .

٣ــ النفس الإنسانية : وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي ، له الحياة بالقوة من جهة ما يدرك المعقولات ويفعل الأفاعيل الكائنة بالتروي والاختيار .

وابن سينا أثبت وجود النفس بعدة براهين وهي :

١ــ البرهان الطبيعي . ٢ــ البرهان السيكولوجي* .

٣ــ برهان الاستمرار . ٤ــ برهان وحدة النفس .

٥ ــ برهان الرجل الطائر . [1]

وابن سينا يقول بخلود الروح ، لأنها مستقلّة عن الجسد ، لذا فهو يقول :

" لا تموت بموت البدن ولا تقبل الفساد أصلاً "

ولابن سينا براهين على روحانية النفس ، أهمها :

١ــ النفس جوهر يدرك المعقولات . ٢ــ إدراك النفس لذاتها وإدراكها للكليات .

٣ــ اختلاف طبيعة القوة العقلية عن طبيعة القوة الجسمية .[2]

* السيكولوجيا : كلمة لاتينية تعني : دراسة السلوك والعمليات العقلية / وابن سينا أثبت وجود النفس من خلال براهينه الذاتية /، ولا يهمنا هل أطلق عبارة (سيكولوجيا) نفسه أم أطلقها الباحثون في مؤلفاته من بعده !

(١) ابن سينا لحمد الحر ص (٣٨ ــ ٧٨) ، ورسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها / محمد العندي .

(٢) آثرت عدم الإحالة هنا رغبة في الاختصار ، ويمكن العودة للمراجع المذكورة لمن اراد التوسع .

ولعل قصيدة ابن سينا في النفس خير دليل لعرض آرائه وأفكاره ، يقول :

هبطت إليـك مـن المحـلّ الأرفـع ... ورقـــاء ذات تعـــزّز وتمنّـــع
محجوبة عــن كـل مقلـة عـارف ... وهي التـي سـفرت فلـم تتـبرقع
وصلت علـى كـره إليـك وربمـا ... كرهت فراقـك وهـي ذات تفجّـع
أنفت ومـا ألفـت فلمـا واصلـت ... ألفـت مجـاورة الخـراب البلقـع
وأظنـها نسـيت عـهوداً بـالحمى ... ومنـازلاً بفراقـها لـم تقنـع
حتـى إذا اتصلـت بـهاء هبوطـها ... من ميم مركزهـا بـذات الأجـرع
علقت بـها ثـاء الثقيـل فـأصبحت ... بيـن المعـالم والطلـول الخضـع
تبكي وقد نسـيت عـهودا بـالحمى ... بمدامـع تـهمي ولمـا تقلـع
حتى إذا قرب المسير إلـى الحمـى ... ودنا الرحيل إلى الفضـاء الأوسـع
وغدت تغـرّد فـوق ذروة شـاهق ... والعلم يرفع كـل مـن لـم يرفـع
وتعـود عالمـة بكـل خفيـة ... في العـالمين فخرقـها لـم يرقـع
فهبوطـها إذ كـان ضربـة لازم ... لتكـون سـامعة لمـا لـم تسـمع
فلأي شـيء أهبطـت مـن شـاهق ... سام إلى قعر الحضيض الأوضـع
إن كـان أهبطـها الإلـه لحكمـة ... طويت عن الفطن اللبيـب الأروع
إذ عاقها الشَّـرك الكثيـف فصدّهـا ... قفص عن الأوج الفسـيح الأربـع
فكأنـها بـرق تـألّق بـالحمى ... ثـم انطـوى فكأنـه لـم يلمـع [١]

(١) وفيات الأعيان ٢/١٥٩ ، وعيون الأنباء ٤٥٥ ، والوافي بالوفيات ١٢/٤١٠ ، وأعيان الشيعة ٢٦/٢٨٥ . والقصيدة لها شروح كثيرة ما بين مطول ومختصر ، فقد شرحها : (داود بن عمر الأنطاكي) صاحب التذكرة ، المتوفى سنة (١٠٠٨هـ) ، وشرحها (علي بن محمد البسطامي) المتوفى سنة (٨٧٥هـ) ، وشرحها (عبدالرؤوف المناوي) المتوفى سنة (١٠٣١هـ) . وقد وقفت على ثمانية شروح ، وبعض التعليقات المختصرة التي هي بمثابة معاني لكلماتها وألفاظها ، أنظر كشف الظنون ٢ / ١٣٤٢ .
ويلاحظ اختلاف في ترتيب الأبيات تبعاً لاختلاف الروايات — فيما يبدو لي — كما هو واضح عند رواية ابن خلكان وابن أبي أصيبعة .

ج ـ عقيدته في الجن والشياطين :

يميل ابن سينا إلى قول الطوائف التي تنكر وجود الجن والشياطين ، لكـن إنكـاره الناتج عن ذلك الميل له صبغة فلسفية ذات طابع باطني إسماعيلي . وقد نتـج عـن تأثره بنظرية الفيض القول بأنه لا يخلو كائن من أن يكون خيراً محضـاً أو يغلـب خيره على شره ، لذا أنكر وجود الجن والشياطين باعتبار أنها مخلوقات شـرّيرة لا وظيفة لها إلا الوسوسة والإفساد . وقد ذهب إلى أن كل الآيات والأحاديث التي تثبت الجن والشياطين ما هي إلا رموز وإشارات[١] .

****

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (٢٠١) ، وقد أكد ابن تيمية — رحمه الله تعالى — في كتاب النبوات (ص ٢١٠) على هذا المعنى ، فراجعه إن شئت .

قلت : أشار الرازي في تفسيره ٨ / ٢٢١ إلى حقيقة إنكار ابن سينا للجن فقال :

((اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت الجن ونفيه ، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره وذلك لأن أبا علي بن سينا قال في رسالته في (حدود الأشياء) : الجن حيوان هوائي متشكّل بأشكال مختلفة ، ثم قال : وهذا شرح للاسم ، فقوله وهذا شرح للاسم يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج))

قلت : وابن سينا ينكر الجن والشياطين تبعاً لأشياخه من الفلاسفة والزنادقة وكثير من القدرية (المعتزلة) .

المبحث السابع

﴿ هل تاب ابن سينا ورجع عن عقيدته الضالّة ﴾ ؟

زعم ابن خلّكان (٦٨١هـ) في " وفيات الأعيان " " أن ابن سينا إغتسل وتاب وتصدّق بما معه على الفقراء ، وردّ المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمه ، ثم مات ... " [١] .

وهذه العبارة عليها عدّة مآخذ : -

أولا : لم يثبت بالتواتر الصحيح المستفيض أنّ ابن سينا رجع عن معتقده ، ولو صحّ ذلك لذاع خبره ، وأنتشر أمره ، وصنّفه أعداؤه قبل أخلائه ، وما أكثر العلماء الذين عاشوا على عقائد باطلة ردحاً من الزمن حتى إذا أراد الله لهم الهداية ، شعّ نور الحق في قلوبهم ، وأضاء لبصائرهم ، فكتبوا توبتهم أو أعلنوها وأشهدوا عليها ، وعلى ذلك أمثلة منها : -

١ـ علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ)

مكث أربعين سنة على مذهب المعتزلة ، وفي أحد الأيام خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس إني إنما تغيّبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجّح عندي حق على باطل ، ولا باطل على حق ، فاسهتديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به .

وقال رحمه الله بمذهب أهل السنة والجماعة ومات على ذلك[٢] .

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ١٦٠

(٢) السير ١٥ / ٨٦ ؛ ومعتقد أبي الحسن الأشعري (١٤) .

٢ ـ مُحمد بن مُحمد الغزالي (٥٠٥هـ)

من أعمدة المذهب الأشعري ، له فلسفة وتصوّف وشطحات عديدة . مال في آخر عمره إلى طريقة أهل الحديث ، ومات وصحيح البخاري على صدره ، وأثبت ذلك كثير من العلماء والمؤرّخين [١].

٣ ـ عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (٤٣٨هـ)

متكلّم ـ اشعريّ ، فيلسوف .

قال : " يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به "

وقال عند موته : " لقد خضت البحر الخضمّ ، وخلّيت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني ، وها أنا أموت على عقيدة أمي (أو ، قال) : على عقيدة عجائز نيسابور " .

وهذا دليل على توبته رحمه الله وعفى عنه [٢].

والأمثلة على هذا كثيرة ، وهي معروفة مشتهرة ، فالحمد لله على الإسلام والسنةّ .

****

ثانياً : لو صحّت توبة ابن سينا ، فلماذا لم يتبرّأ من عقيدته ، أو يحرق مؤلفاته أو ينكر ما فيها. ولو ثبت هذا لتناقل العلماء خبره ، وجزموا بعدم صحة ما نُسب إليه ، وأعلنوا ذلك في نقداتهم لكتاباته وأفكاره . فقد ترجم لابن سينا عشرات الأعلام كابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير [٣] وابن الأثير وابن حجر والصفدي والشهرستاني والبيهقي ، وغيرهم ، وكلهم لم يؤكّدوا خبر توبته ولم يشيروا إلى ثبوتها لا من قريب أو بعيد [٤].

---

(١) درء التعارض ١ / ١٦٢ ، وشرح الطحاوية ص (٣٦٩) .

(٢) شرح الطحاوية ص (٢٧١) .

(٣) ألمح ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ إلى ضعف خبر توبة ابن سينا بقوله : (ويُقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم) انظر البداية ١٢/٤٦ .

(٤) وقد روى ابن العماد عن اليافعي قوله : ((طالعت كتابه الشفا ، وما أجدره بقلب الفاء قافاً لاشتماله على فلسفة لا ينشرح لها قلب متديّن ، والله أعلم بحاله وصحة توبته)) شذرات الذهب ٣ / ٢٣٧ .

ثالثا : ابن خلّكان هو عمدة أكثر المترجمين لابن سينا ، وعليه يُعوّل أكثرهم ، لكن بالتتبع والاستقراء يتبيّن عدم صحة كثير من رواياته وأخباره . فهو يخبط ويخلط أحياناً ، ولا يتحرّى الحق والعدل .

قال : " ابن كثير " (٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى في ترجمة ابن الراوندي (٢٩٨ هـ) الزنديق : " **وقد ذكره ابن خلكان في (الوفيات) وقلّس عليه ، ولم يخرجه بشيء ، ولا كأنّ الكلب أكل له عجيناً ، على عادته في العلماء والشعراء ، فالشعراء يُطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم** " !![1] .

****

قلت : هذا ما ظهر لي من رأي بعد فكر ونظر ، والله سبحانه وتعالى يقبل توبة التائبين ، ويغفر خطأ المذنبين ، سبحانه وتعالى إله الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

****

حرّر في

غرة رمضان ١٤٢١هـ

---

(١) البداية والنهاية ١١/١٢١ .

﴿ قاموس موجز لمعاني ﴾

﴿أشهر المصطلحات التي يردّدها ابن سينا في مؤلفاته﴾

﴿وبيان معناها باختصار ﴾

ـ **الأعراض** : جمع (عرض) وهو : الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محلّ يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله .

****

ـ **الجسم** : جوهر قابل للأبعاد الثلاثة ، أو : الجسم المركب المؤلف من الجوهر وإطلاقه على الله لا يجوز[1] .

****

ـ **البداء** : ظهور الرأي بعد أن لم يكن .

****

ـ **التركيب** : جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ، وليس لبعض أجزائه نسبة إلى بعض تقدماً وتأخراً . ولا يجوز إطلاقه على الله تعالى[2] .

****

ـ **الغوث** : القطب عند الصوفية ـ حين يلتجئ إليه بزعمهم .

****

ـ **السُكر** : من اصطلاحات الصوفية ـ ويقصدون بها خشية الله بزعمهم[3] .

****

ـ **الاصطلام** : من اصطلاحات الصوفية ، ويعنون به : الوَله الغالب على القلب .

****

ـ **العقل الأول** : من اطلاقات الفلاسفة على الله سبحانه وتعالى . وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى .

---

(١) فائدة : أول من أطلق " إن الله جسم " : هشام بن الحكم الرافضي . مجموع الفتاوى ٣ / ١٠٦ ، ومنهاج السنة النبوية ٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥ ، والصواعق المرسلة ١ / ١١٢ ـ ١٧٣ .

(٢) انظر " الصواعق المرسلة " : (١ / ١١٤ ـ ١١٥) وفيه فوائد مهمة .

(٣) انظر فائدة حول هذا اللفظ في " الأجوبة المرضية " : (٣٣٥ ـ ٣٨٠) .

ــ **العقل الفعال في السماء** : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة . وهذا من تخرصاتهم .

****

ــ **العلة الأولى** : من اطلاقات الفلاسفة على الله تعالى ، وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى .

****

ــ **العلة الفاعلة** : من اطلاقات الفلاسفة على الله تعالى ، وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى .

****

ــ **القوة الخفية** : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة . وهذا من تخرصاتهم .

****

ــ **القوة المدبرة** : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة .وهذا من تخرصاتهم .

****

ــ **القوة العليا** : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة ، وهذا من تخرصاتهم .

****

ــ **السر الجامع** : من اطلاقات الفلاسفة على الرسول صلى الله عليه وسلم .وهذا من افتراءاتهم .

****

ــ **معدن الأسرار** : من اطلاقات الفلاسفة على الرسول صلى الله عليه وسلم .وهذا من افتراءآتهم .

****

ــ **الفيض** : من نظريات أفلاطون ، وهي تفسّر علاقة الخالق بمخلوقاته ، وتتم العلاقة إما بخلق الكون من العدم ، أو بالتطور ، أو بفيض من الله ، دون أن يتأثر الجوهر الإلهي بما يفيض عنه ــ كما يزعمون ــ وكلما بعد الفيض عن مصدره قلّ عنصره الإلهي .[1]

---

(١) سبق الحديث عنها شيء من التفصيل (ص ٥٧-٦١) من هذا الكتاب .

ــ **القديم** : ليس من أسماء الله تعالى . والقديم : المتقدّم على غيره . ويحل محله الأوّل والآخر .

****

ــ **واجب الوجود** : الذي يكون وجوده من ذاته ، ولا يحتاج إلى شيء أصلاً ، وفي إطلاقه على الله نظر عند بعض العلماء [1].

****

ــ **الحدّ** : من اطلاقات الفلاسفة ، يقصدون به أن الله سبحانه وتعالى ــ محبوس مخاط .

****

ــ **الجوهر** : لا يصح إطلاقه على الله ، والجوهر ماهية تنحصر في : الهيولى ، الصورة ، الجسم ، النفس ، العقل .

****

ــ **الجهة** : لا يصح إطلاقها على الله إجمالا . والجهة عند المتكلمين لها معنيان :

الأول : ما وراء العالم ..

والثاني : الشيء الموجود غير الله . ويقال لمن قال : ((إنّ الله في جهة)) أتريد بذلك أن الله فوق العالم ، أو ــ تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟ فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل [2].

****

ــ **الإبداع**: إيجاد الشيء من لا شيء .

****

ــ **الأدراك** : إحاطة الشيء بكماله .

****

ــ **الإرادة** : ميل يعقب اعتقاد النفع .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في : منهاج السنة النبوية " (٢ / ١٣١ ــ ١٣٢) .

(٢) الأجوبة المرضية لتقريب التدمرية (١٣٩) .

ـــ **الأزل** : استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي ، كما أن الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل .

****

ـــ **الإضافة** : حالة نسبية متكررة ، بحيث لا تعقل إحداهما إلا مع الأخرى كـــالأبوة والبنوة .

****

ـــ **الاضراب**: الاعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه نحو : ضربت زيداً بل عمراً .

****

ـــ **الاضمار** : ترك الشيء مع بقاء أثره .

****

ـــ **الحادث**: ما يكون مسبوقاً بالعدم ، ويسمى حدوثاً زمانياً ، وقد يُعبر عن الحـدوث بالحاجة إلى الغير ، ويسمى حدوثاً ذاتياً .

****

ـــ **الحدس** : سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب ، ويقابله الفكر ، وهـــي أدنى مراتب الكشف .

****

ـــ **الحكم** : إسناد أمر إلى آخر إيجابا أو سلباً .

****

ـــ **العلم**: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع .

****

ـــ **العلّة** : ما يتوقف عليه وجود الشيء ، ويكون خارجاً مؤثراً فيه .

****

ـــ **القضية** : قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه ، أو كاذب فيه .

****

ـــ **الكلمات الإلهية** : ما تعين من الحقيقة الجوهرية ، وصار موجوداً .

ـــ **المتقابلان** : اللذان لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة .

****

ـــ **النسبة** : إيقاع التعلق بين الشيئين .

****

ـــ **الهيولى** : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة ، واصطلاحاً : جوهر في الجســـم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محـــل للصورتيـــن الجســـمية والنوعية .

****

ـــ **اللّازم** : ما يمتنع انفكاكه عن الشيء .

****

ـــ **العكس**: التلازم في الانتفاء بمعنى كلما لم يصدق الحد لم يصدق المحدود ، وقيل العكس : عدم الحكم لعدم العلةَ .

****

ـــ **العقل الهيولاني** : الاستعداد المحض لإدراك المعقولات .

****

ـــ **الطَّرد** : ما يجوب الحكم لوجود العلةَ ، وهو التلازم في الثبوت [1].

****

((تنبيه)) :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ : " إن الأئمة الكبار كانوا يمنعون مـــن إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة ، لما فيها من لبس الحق بالباطل ، مع مـــا توقعـــه مـــن الاشتباه والاختلاف والفتنة ، بخلاف الألفاظ المأثورة ، والألفاظ التي بينّت معانيها ، فـــإن ما كان مأثوراً : حصلت به الألفة ، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة " ..

درء التعارض : (٢٧١/١)

****

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) للاستزادة : أنظر : التعريفات للجرجاني ـــ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ـــ المعجم الفلسفي / جميل صليبا ـــ معجـــم المناهي اللفظية : بكر أبو زيد ـــ المعجم الوسيط بإشراف مجمع اللغة العربية بمصر

﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

ـ **الآثار الباقية** : محمد بن أحمد البيروني ، ط ليبسك / ١٩٢٣م .

ـ **ابن سينا** : محمد كامل الحر / دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ .

ـ **ابن سينا** : يوحنا قمير ، دار الكتب ، ١٤١٠هـ .

ـ **ابن سينا بين الدين والفلسفة** : حمود غرابة ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٢هـ .

ـ **اجتماع الجيوش الإسلامية** : ابن القيم الجوزية ، ط دار الفكر ، ١٤١٢هـ .

ـ **الأجوبة المرضية لتقريب التدمرية** : بلال الجزائري /، ط دار هجر ١٤١٧هـ

ـ **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** : القفطي ، ط دار العلم ، ١٤٠١هـ .

ـ **أخوان الصفا** : مصطفي غالب ، ط دار الفكر ، ١٩٨٥م .

ـ **أربع رسائل إسماعيلية** : عارف تامر ، ط الحياة ١٩٧٨م .

ـ **أساس التقديس** : محمد بن عمر الرازي ، ط كردستان ، ١٣٢٨هـ .

ـ **الإسماعيلية** : إحسان إلهي ظهير ، ط ترجمان السنة ١٤٠٥هـ .

ـ **الإسماعيلية المعاصرة** : محمد الجوير ، ط ١٤١٤هـ .

ـ **الإشارات والتنبيهات** : ابن سينا ، تحقيق : سليمان دنيا ، ط المعارف١٩٥٧م.

ـ **الإشارات إلى أسماء الرسائل المودعة في بطون المجلدات** ـ مشهور سلمان ، دار الصميعي ١٤١٤هـ .

ـ **أصول الفلسفة الإشراقية** : محمد أبو ريان ، الانجلو ، القاهرة ١٩٥٩م .

ـ **الأعلام** : الزركلي ، ط دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م .

ـ **أعيان الشيعة** : محسن أمين ، ط النجف ، ١٩٧٠م .

ـ **إغاثة اللهفان** : ابن القيم الجوزية ، ط الحلبي ، ١٩٨٠م .

﴿تــــابع فهرس المصادر والمراجع ﴾

ـ **الإصابة** : ابن حجر ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م .

ـ **الافحام لافئدة الباطنية الطغام** : يحيى بن حمزة العلوي ، (تحقيق) فيصل عون ، المعارف ١٩٨٥م .

ـ **الإيمان** : ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م .

ـ **البداية والنهاية** : ابن كثير ، دار الريان ، ١٤٠٧هـ .

ـ **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان** : السكسكي ، ط دار التراث ١٤٠٢هـ.

ـ **البيان المغرب** : ابن عذاري ، ليدن ١٩٥١م .

ـ **تاريخ الإسلام السياسي** : حسن إبراهيم حسن ، أحياء التراث ١٩٨٠م

ـ **تاريخ التراجم في تراجم الحنيفية** : ابن قطلوبغا ، بغداد ١٩٦٢م .

ـ **تاريخ الحكماء** : الزوزني ، ط ليبزج ، ١٩٠٣م .

ـ **تاريخ الدعوة الإسماعيلية** : مصطفي غالب ، دار الأندلس ـ بيروت ١٩٧٩ م.

ـ **تاريخ الفكر العربي** : عمر فروخ ، دار العلم للملايين ـ ١٣٨٢هـ .

ـ **تاريخ الفلسفة الإسلامية** ـ ماجد فخري (ترجمة) ، دار المتحدة ، ١٩٧٩م

ـ **تاريخ الفلسفة في الإسلام** : دي بور (ترجمة) ط ١٩٨٢م

ـ **تفسير الرازي** : ط دار الكتاب العربي ، ط ١٩٩٠م .

ـ **تهافت الفلاسفة** : ابو ماجد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، طلا ١٩٨٥م .

ـ **الجامع لأحكام القرآن** : القرطبي ، ط ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠م

ـ **جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية** : السلفي ، دار الصميعي ، ١٤١٦هـ

ـ **الجواب الكافي** : ابن القيم الجوزية ، دار الحياة ، ١٩٨٥م .

﴿تـــابع فهرس المصادر والمراجع﴾

ــ **الجواهر المضية** : عبدالقادر القرشي ، ط حيدر آباد ١٣٣٢هـ .

ــ **الحاكم بأمر الله** : محمد عبدالله عنان ، دار الهلال ، ١٩٤٦م .

ــ **الحركات الباطنية** : محمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، ١٤٠٦هـ .

ــ **الحقائق الخفية** : محمد الأعظمي ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٠م .

ــ **دائرة المعارف الإسلامية** : (ترجمة) ط وزارة المعارف ، القاهرة ١٩٧٠م

ــ **درء تعارض العقل والنقل** : ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد ســالم ، ط جامعــة الإمام ١٤١٠هـ

ــ **دراســات فــي التصــوف** : إحســان إلــهي ظــهير ، ط ترجمــان الســنة (لاهور)١٤٠٢هـ .

ــ **راحة العقل** : أحمد الكرماني ، (تحقيق) : مصطفى غالب ، بيروت ١٩٦٧م

ــ **رسائل أخوان الصفا** : مجموعة مؤلفين ، ط ، دار الحياة ، ١٩٧٠م .

ــ **الرسالة الأضحوية** : ابن سينا ، تحقيق سليمان دنيا ، ط دار الفكر ١٣٦٨هـ

ــ **الروح** : ابن القيم ، ط دار ابن تيمية ، تحقيق (بسام العموشي) ١٤٠٦هـ.

ــ **سنن ابن ماجه** : تحقيق عبدالباقى ، ط الحلبي ، ١٣٧٢هـ .

ــ **سنن الترمذي** : ط ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ .

ــ **سير أعلام النبلاء** : الذهبي ، ط الرسالة ، ١٤ هـ .

ــ **الشامل** : الجويني ، ط المعارف ، ١٩٦٩م .

ــ **شذرات الذهب** : ابن العماد ، ط القاهرة ، ١٣٥٠هـ

ــ **شرح الطحاوية** : الحفني ، تحقيق عميره ، ١٤١٥هـ .

ــ **شرح الفقه الأكبر** : لأبي حنيفة ، ط حيدر أباد ، ١٣٩٣هـ .

﴿تـــابع فهرس المصادر والمراجع﴾

ــ **الشريعة** : الأجري ، ط دار الفكر ١٩٨٥م .

ــ **الشفا** : ابن سينا : الحسين بن عبدالله ، ط الهيئة المصرية ، ١٩٧٥م .

ــ **الشفا** : القاضي عياض ، ط دار القلم ، ١٩٨٢م .

ــ **الشقائق النعمانية** : طاش كبري زاده ، القاهرة ، ١٣١٠هـ .

ــ **صحيح البخاري** : ط دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ .

ــ **صفحات من صبر العلماء** : عبدالفتاح أبو غدة ، ط المطبوعــات الإســلامية ، ١٤١٥هـ .

ــ **الصفدية** : ابن تيمية ، ط دار ابن تيمية ، ١٤١٢هـ .

ــ **طبقات الشافعية** : عبدالوهاب السبكي ، (تحقيق) محمود الطناحي ، ط الحبي ١٣٨٤هـ .

ــ **طبقات الفقهاء الحنفية** : طاش كبري زاده ، الموصل ١٩٦١م .

ــ **الطرق الحكمية** : ابن القيم الجوزية ، ١٤١٤هـ .

ــ **العقائد الباطنية** : صابر طعيمة ، المكتبة الثقافية ، ١٤١١هـ .

ــ **عيون الأنباء** : ابن أبي اصيبعة ، ط دار الفكر ، ١٣٧٦هـ .

ــ **عيون التواريخ** : محمد بن شاكر الكتبي ، ط دار الفكر ، ١٩٨٠م .

ــ **فتح الباري** : ابن حجر ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠ م .

ــ **الفرق بين الفرق** : عبدالقاهر البغدادي ، ط دار الفكر ، ١٩٧٠م .

ــ **فضائح الباطنية** : أبو حامد الغزالي ، ط دار الجيل ، ١٤١٥هـ .

ــ **فطرية المعرفة** : أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، ط ١٤١٠هـ .

ــ **الفهرست** : ابن النديم ، ط الشعب ، ١٩٧٠هـ .

﴿تـــابع فهرس المصادر والمراجع﴾

ــ **القصيدة النونية** : ابن القيم الجوزية ، ط ١٤١٥هـ
ــ **القواعد الكليــة للأسـماء والصفــات** : إبراهيــم البريكــان ، دار الــهجرة ، ١٤١٥هــ .
ــ **الكامل في التاريخ** : ابن الأثير
ــ **كتب حذر منها العلماء** : مشهور سلمان ، الصميعي ، ١٤١٥هــ .
ــ **كشف الظنون** : حاجي خليفة .
ــ **كنز الولد** : إبراهيم الحامدي ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، ط ١٩٧١م
ــ **لسان الميزان** : ابن حجر ، دار الفكر ١٩٨٥م .
ــ **الماتريديه** : السلفي الأفغاني ، دار الصديق ، ١٤١٩هــ . .
ــ **المجددون في الإسلام** : عبدالمتعال الصعيدي ، ط المعارف ، ١٩٧٠هــ.
ــ **مجمع الأمثال** : الميدان ، دار الجيل ، ١٩٩٠ م .
ــ **مجموع فتاوي ابن تيمية** : دار عالم الكتب ، الرياض
ــ **محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وموقفه من عقيدة أهــل الســنة والجماعــة** ، أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي ، ط ١٤٢٠هــ .
ــ **المختصر في أخبار البشر** : إسماعيل ابو الفدا ، استانبول ، ١٢٨٦هــ .
ــ **مداواة الرجل للمرأة** : محمد علي البار ، دار المنارة ، ١٤١٦هــ .
ــ **مذاهب الإسلاميين** : عبدالرحمن بدوي ، دار العلم ، ١٩٧١م .
ــ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** : اليافعي ، حيدر أباد ١٩٥٠م .
ــ **مسند أحمد** : ط الحلبي ، ١٣١٣هــ .
ــ **مسند الشهاب** : ط دار الريان ، ١٩٨٥م .

﴿تـــابع فهرس المصادر والمراجع﴾

ــ **المطالب العالية** : محمد بن عمر الرازي ، ط دار النجف ، ١٤٠٢هــ
ــ **معجم الأبيات الشهيرة** : حسن دندشي ، ط دار جروس برس ، ١٩٨٦م
ــ **معجم لآلي الشعر** : إميل يعقوب ، ط دار المجموعة ١٩٩٨م .
ــ **مؤلفات ابن سينا** : جورج قنواتي ، القاهرة ١٩٥٠م .
ــ **النجاة** : ابن سينا ، دار الآفاق ، بيروت ١٩٨٥م .
ــ **هدية العارفين** :إسماعيل باشا البغدادي ، ط دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥م .
ــ **الوجود الإلهي** : نخبة من العلماء) ط دار الأصالة ، تونس ١٤١٠هــ .
ــ **الينابيع** : إسحاق السجستاني (تحقيق) مصطفي غالب ، بيروت ١٩٦٥م .

****

﴿ آثـــــار المؤلـــف ﴾

(١) ــ نقض افتراءات المؤرخين والنقاد حول شخصية حســان بــن ثــابت ــ رضي الله عنه ــ

(دراسة وتحقيق لتهمة الجبن التي ألصقت بحسان بن ثابت،وإثبات بطلانها)

(٢) محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وموقفه من عقيدة أهل السنة والجماعة .

(٣) أبيات وقصائد تخالف العقيدة الإسلامية .

(٤) أضواء على عقيدة المكارمة .

(٥) حقيقة معتقد ابن سينا .

****

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

﴿ تابع فهرس الموضوعات ﴾

﴿ تابع فهرس الموضوعات ﴾